# الفصل الأول

# المكتبة

وفيه:

أولاً: تمهيد.

أ ـ الإسلام والعلم.

ب ـ تدوين العلم.

ثانيـاً : أهداف المكتبة وأثرها التربوي.

ثالثـاً : نشأة المكتبات.

رابعاً : أشهر المكتبات في الإسلام.

خامساً: أشهر المكتبات في العالم في العصر الحاضر.

سادساً: المخطوطات العربية. ومعهد إحياء المخطوطات.

سابعاً: المكتبة ونظامها وفهارسها.

obeikandl.com

obeikandl.com

## أولاً ـ تمهيد:

### أ ـ الإسلام والعلم:

﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾﴾ [العلق: ١ـ٥]. كانت هذه أول آيات بينات نزلت على سيدنا محمد الرسول الأمين، تنبئه بالرسالة، وتحمله مسؤوليتها، تصدع أول كلماتها بالقراءة وهي مفتاح التعلم، وتنطق آياتها بتعليم الله ﷻ لعباده ما لم يعلموا، وتذكر القلم وسيلة الكتابة وحفظ العلم ونقله، وآلة التعبير عما يجول في الخواطر. لقد استرعى الله ﷻ انتباهنا إلى أهمية العلم، في أولى آيات القرآن الكريم لأنه سبيل التحرر من العبودية لغير الله، والطريق القويمة إلى معرفة الله ﷻ، ومعرفة شرعه وحسن تطبيقه والعمل به.

وحسبنا أن تنوه الآيات الأولى من دستور الإسلام بالعلم، لندرك اهتمام هذا الدين الحنيف به، ولو أنا تأملنا فيما ورد في القرآن الكريم من آيات تتناول العلم وفضله وسبله وما يلحق به، وما ورد في السنة في هذا الباب ـ لوقفنا على مكانة العلم في الإسلام، وأدركنا اهتمامه الكبير به، من خلال الآيات التي تحث على التعلم، وتشجع طلاب العلم، وترفع من شأن العلماء، وتحارب الجهل وتطارده كما يطارد النور الظلام، تريد للإنسانية نور العلم والمعرفة بدلاً من ظلام الجهل والغفلة، ومن ثم خاطب الإسلام العقول والقلوب... وأناط التكليف الشرعي بالعقل والبلوغ، وجعل العقل مدار التكليف، لأنه وسيلة فهم خطاب الشارع الكريم، وبه ميز الله ﷻ الإنسان عن سائر مخلوقاته. ولهذا نرى كثيراً من الآيات تهيب بالإنسان أن يستعمل عقله ويتدبر ويتفكر، من هذا قوله ﷻ: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الزخرف: ٣]، وقوله: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٣]، وقوله: ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ

لَكُمُ ٱلْآيَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴾ [البقرة: ٢٢٦]، وقوله: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ۚ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الأنعام: ٥٠]. وقوله: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [النحل: ٤٤]. وإنا لنجد دعوة القرآن الكريم إلىٰ العلم والرفع من شأنه مبثوثة في كثير من آياته، قال تعالىٰ: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الزمر: ٩]، وقال: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ ۖ فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [الأنبياء: ٧].

ورفع مكانة العلماء في قوله ﷻ: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ﴾ [المجادلة: ١١]. وقال: ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴾ [يوسف: ٧٦]، ونرىٰ من خلال آيات القرآن الكريم ما للعلم والعلماء من أهمية كبيرة في الدعوة إلىٰ الله، والتحرر من عبودية ما سواه، من هذا جل قصص الأنبياء، والمحاورة الدقيقة الرائعة (بين مؤمن آل فرعون وفرعون وأعوانه) من قوله ﷻ: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ ﴾... إلىٰ قوله عز من قائل: ﴿فَسَتَذْكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمْ ۚ وَأُفَوِّضُ أَمْرِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾ [غافر: ٢٨ ـ ٤٤][1]. ومثلها المحاورة المنطقية والإقناع العميق في قوله ﷻ: ﴿وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُوا۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾ ٱتَّبِعُوا۟ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا لِىَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٢﴾ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا يُنقِذُونِ ﴿٢٣﴾ إِنِّىٓ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ إِنِّىٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمْ فَٱسْمَعُونِ ﴿٢٥﴾ قِيلَ ٱدْخُلِ ٱلْجَنَّةَ ۖ قَالَ يَٰلَيْتَ قَوْمِى يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِى رَبِّى وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴾ [يس: ٢٠ ـ ٢٧].

---

(١) ونرىٰ موقف أهل العلم ـ من قوم قارون ـ من محبي الدنيا حين يتمنون أن يكون لهم مثل ماله، فينبري بعض أهل العلم قائلين لهم: ﴿وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ۚ وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ﴾ [القصص: ٨٠].

ونرىٰ ما للعلم من منزلة عظيمة في قصة سليمان عليه السلام، وفي طلبه عرش بلقيس: ﴿قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ ۖ وَإِنِّى عَلَيْهِ لَقَوِىٌّ أَمِينٌ ﴿٣٩﴾ قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى﴾ [النمل: ٣٩ ـ ٤٠].

ونرىٰ من ركب هواه عقله في الدنيا ينطق بالحق حين يرىٰ مصيره يوم القيامة ﴿وَقَالُوا۟ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [الملك: ١٠]. وقال عز من قائل: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾ [فصلت: ٥٣]. وقال: ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُوا۟ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ﴾ [الأعراف: ١٨٥]، وقال ﷻ: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوا۟ هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِى ٱلْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ﴾ [غافر: ٢١].

خاطب الإسلام في الإنسان عقله وحواسه وجوارحه التي تنفذ به إلىٰ المعرفة والتعلم، فاسترعىٰ انتباهه إلىٰ مفاتيح العلوم بالنظر والمشاهدة والتأمل والاعتبار وغير ذلك مما يدفع به إلىٰ ذروة المعرفة والوقوف علىٰ الحقيقة الكبرىٰ لهذا الكون، ومن ثم لن نستغرب اهتمام الإسلام بالعلم هذا الاهتمام الكبير الذي لم نعهد له مثيلاً في الأديان السابقة والأنظمة القديمة والحديثة حتىٰ في أرقىٰ بلاد العالم في عصرنا الحاضر، ولا غرابة في هذه الحقيقة الواضحة في دين الإنسانية والخلود.

ولسنا هنا بصدد إحصاء وعرض آيات العلم والتعليم والعلماء التي وردت في القرآن الكريم، فإن المقام لا يتسع لذلك، وإنما الغاية أن نعرف مقام العلم في الإسلام معرفة سريعة موجزة، ولعل خير ما يبرز لنا هذا الجانب هو الرسول ﷺ، الذي كان الرائد الأول في تطبيق الإسلام.

١ ــ فقد حض الرسول عليه الصلاة والسلام علىٰ طلب العلم، وبين منزلة العلماء فقال: «من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين»[١]. وجعل طلب العلم الشرعي الذي يحتاج إليه كل مسلم ليقيم أمور دينه فريضة علىٰ كل مسلم بنص قوله ﷺ: «طلب العلم فريضة علىٰ كل مسلم»[٢]. وغير ذلك من الأحاديث التي تحض علىٰ طلب العلم، ولم يقتصر حضه ﷺ علىٰ طلب العلم الشرعي من خلال القرآن والسنة، بل دعا إلىٰ تعلم كل ما يعود علىٰ المسلمين بالخير، أو يدفع عنهم الشر[٣].

٢ ــ وكما حض عليه الصلاة والسلام علىٰ طلب العلم حض علىٰ تبليغه، فحدث الرسول ﷺ في مواقف كثيرة، وكان يقول: «ليبلغ الشاهد الغائب، ربَّ مبلغ أوعىٰ من سامع»[٤]، و«نضر الله امرءاً سمع منا حديثاً فحفظه حتىٰ يبلغه، فربَّ مبلغ أحفظ له من سامع»[٥].وفي رواية أنس رضي الله عنه عن الرسول ﷺ: «نضر الله عبداً سمع مقالتي فوعاها ثم بلغها عني فربَّ حاملِ فقه غير فقيه، ورب حامل فقه إلىٰ من هو أفقه منه». وكان يأمر الوفود التي تفد إليه بأن يحملوا الإسلام إلىٰ من خلفهم ويعلموهم كما تعلموا من الرسول ﷺ[٦].ومن الناحية التطبيقية لم يترك الرسول ﷺ طريقة من طرق التعليم والتبليغ والإعلام في ذلك العصر إلا سلكها في سبيل نشر الإسلام

(١) أخرجه الإمام أحمد عن أبي هريرة. مسند أحمد جـ ١٢ ص١٨٠ حديث ٧١٩٣.

(٢) أخرجه ابن ماجه عن أنس. سنن ابن ماجه، جـ ١ ص٥.

(٣) من هذا أن الرسول ﷺ أول ما قدم إلىٰ المدينة أمر زيد بن ثابت الأنصاري أن يتعلم لغة يهود لأنه لا يأمنهم علىٰ دينه.. انظر المزيد من هذا في كتابنا السنة قبل التدوين ص٣٨ و٣٩.

(٤) صحيح البخاري بحاشية السندي جـ ١ ص٢٣.

(٥) أخرجه الإمام أحمد عن ابن مسعود في مسنده جـ ٦ ص٩٦ حديث ٤١٥٧.

(٦) انظر فتح الباري جـ ١ ص١٩٤.

وتبليغه، فكان يعقد مجالس العلم بنفسه[1]، ويبعث الرسل ويرسل الكتب، ويوجه الأمراء والقضاة والمعلمين، ليفقهوا الناس بالدين، فكان ﷺ خير مبلغ[2].

٣ ـ ومنزلة العلماء المعلمين من أرفع المنازل في الإسلام بنص قول الرسول ﷺ: «العلماء ورثة الأنبياء»[3]. ولم يرفعهم إلىٰ هذه المنزلة الرفيعة إلا علمهم وعملهم به وتعليمهم وإرشادهم الأمة..[4].

---

(١) فمنذ أول عهد الدعوة إلىٰ الله ﷻ اتخذ الرسول ﷺ دار الأرقم بن عبد مناف بن سعد المخزومي مركزاً له ولأصحابه، حين كانت الدعوة سرية، وكانت تسمىٰ «دار الإسلام» فيلتف المسلمون الأوائل حول الرسول ﷺ بعيداً عن المشركين يتلون كتاب الله، ويتعلمون مبادئ الإسلام، ويحفظون ما ينزل علىٰ الرسول ﷺ من القرآن، ثم ما لبث أن أصبح منزل الرسول ﷺ في مكة محط أنظار المسلمين ومعهدهم الذي يتلقون فيه القرآن الكريم، وينهلون من الحديث الشريف علىٰ يدي الرسول ﷺ.

ثم أصبح المسجد فيما بعد ـ المكان المعهود للعلم والفتوىٰ والقضاء، إلىٰ جانب أداء العبادات فيه، وعرض الأمور العامة علىٰ المسلمين.

ومع هذا لم تكن ميادين التعليم محصورة في مجال معين، فلم يقتصر تبليغ الرسول ﷺ علىٰ مكان محدود، ولا علىٰ مناسبة بعينها، فقد كان يستفتىٰ في الطريق فيفتي ويسأل في المناسبات المختلفة فيجيب، يبلغ الإسلام في كل فرصة تسنح له، وفي كل مكان يتسع لذلك. وإلىٰ جانب هذا كانت مجالسه العلمية كثيرة، يتعهد فيها أصحابه بالتوجيه والتعليم، فكان إذا جلس، جلس إليه أصحابه حلقاً حلقاً، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «إنما كانوا إذا صلوا الغداة قعدوا حلقاً حلقاً، يقرؤون القرآن، ويتعلمون الفرائض والسنن». وإن تاريخ الصحابة وحياتهم العلمية لتشهد بأن الرسول ﷺ لم يكن يضن علىٰ مسلم بالعلم، بل كان يكثر مجالسة أصحابه يعلمهم ويزكيهم. انظر بسط هذا في كتابي أصول الحديث ص٥٨ وما بعدها.

(٢) انظر أصول الحديث ص٥٤.

(٣) مجمع الزوائد ص١٢١ جـ ١.

(٤) وقد طبق الرسول ﷺ ذلك عملياً فأسند تعليم الأمة والقضاء والفتوىٰ إلىٰ علماء الصحابة في الأمصار البعيدة، فأرسل أنس بن مالك ومعاذ بن جبل إلىٰ اليمن، وعلياً رضي الله عنه في أكثر من بعث علمي وأبا هريرة إلىٰ البحرين وغيرهم من أكابر الصحابة، وواضح تقديم أهل العلم =

من هنا حث الإسلام على احترام أهل العلم، على لسان سيدنا محمد ﷺ فقال: «ليس من أمتي من لم يجلّ كبيرنا، ويرحم صغيرنا، ويعرف لعالمنا حقه»[1]. وأكد عليه الصلاة والسلام ما للعالم من أجر عند الله ﷻ بقوله: «العالم والمتعلم شريكان في الخير»[2].

٤ ـ وكما أن للعلماء أجراً في الإسلام لتعليمهم وتوجيههم، وحرصهم على بيان

---

=

والاختصاص في جميع مجالات الحياة وميادينها، ففي الصلاة قال ﷺ: «إذا حضرت الصلاة فليؤذن أحدكم، وليؤمكم أكثركم قرآناً» وفي الفرائض قال: «تعلموا الفرائض وعلموها، فإنها نصف العلم..» وكثيراً ما كان الرسول ﷺ يذكر خصائص أصحابه ومزاياهم، من هذا قوله: «أرحم أمتي بأمتي أبو بكر، وأشدهم في دين الله عمر، وأكثرهم حياء ـ أو أصدقهم حياء ـ عثمان، وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل، وأعلمهم بما أنزل الله عليٌّ وأبي بن كعب، وأفرضهم زيد بن ثابت، وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح» (مسند الطيالسي حديث ٢٠٦٩ وانظر مسند أحمد جـ ٣ ص ١٨٤) وفي الحروب وقيادتها يقول الرسول ﷺ: «نعم عبد الله خالد بن الوليد سيف من سيوف الله» (أخرجه الإمام أحمد والترمذي عن أبي هريرة).

وعلى نهجه ﷺ سلك أصحابه والتابعون في تقديم العلماء وأهل الاختصاص، فحين يكلف الصديق زيد بن ثابت بجمع القرآن الكريم يقول له: إنك شاب عاقل لانتهمك وقد كنت تكتب الوحي لرسول ﷺ فتتبع القرآن فاجمعه...) ويظهر هذا جلياً في اللجنة التي شكلها عثمان بن عفان رضي الله عنه لنسخ المصاحف وإرسالها إلى الأمصار، وإن صفحات التاريخ الإسلامي مليئة بأخبار أهل العلم ودورهم في تقدم أمتهم، ودفعها إلى ذرا المجد والكمال، وتحريرها من الظلم والطغيان، والوقوف في وجه أعدائها، فقد كان العلماء قلب الأمة النابض، ويدها القوية بالحق، ووجهها في الدعوة إلى العدالة وإقامة حدود الله، منذ عصر الصحابة إلى الأيام القريبة الخالية، فأخبار الإمام عبد الله بن المبارك والإمام أحمد وابن تيمية ومحمد بن عبد الوهاب وغيرهم من الأئمة الأعلام غرة في جبين التاريخ، وأخبار علماء مصر وفلسطين والعراق أيام الانتداب البريطاني وعلماء سورية أيام الانتداب الفرنسي ليست عنا ببعيدة، وكلنا يذكر الدور العظيم الذي قام به علماء الجزائر في الانتفاضة الخيرة في ثورة الجزائر العظيمة... ولا تزال مكانة العلماء وجهودهم وآثارهم فعالة قوية في كثير من البلدان الإسلامية.

(١) مجمع الزوائد ص١٢٧ جـ١.

(٢) الجامع الصغير ص٦٧ جـ ٢ وهو حسن، وانظر جامع بيان العلم وفضله جـ ١ ص٢٨.

الحق فإن لطلاب العلم أجراً لتوطين نفوسهم علىٰ طلب العلم، وهذا واضح في قوله ﷺ: «من غدا إلىٰ المسجد لا يريد إلا أن يتعلم خيراً، أو يعلمه، كان له كأجر حاج تاماً حجته»[1] وفي قوله ﷺ: «ومن سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له به طريقاً إلىٰ الجنة، وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله، يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم، إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله ﷻ فيمن عنده، ومن أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه»[2].

٥ ـ ولم يكتف الرسول ﷺ بالحض علىٰ طلب العلم، وعلىٰ تبليغه، ولم يكتف ببيان منزلة العلماء وطلاب العلم، بل أوصىٰ بطلاب العلم خيراً، ورغب في تعليمهم والإحسان إليهم، من هذا ما رواه أبو هارون العبدي قال: (كنا إذا أتينا أبا سعيد الخدري قال: مرحباً بوصية رسول الله ﷺ. قال: قلنا: وما وصية رسول الله ﷺ؟ قال: قال لنا رسول الله ﷺ: «إنه سيأتي بعدي قوم يسألونكم الحديث عني، فإذا جاؤوكم فألطفوا بهم، وحدثوهم»[3]. وفي رواية (إنهم ـ أي طلاب العلم ـ سيأتونكم من أقطار الأرض، يتفقهون في الدين، فإذا جاؤوكم فاستوصوا بهم خيراً)[4].

هكذا تبين لنا حرص الشريعة علىٰ العلم والتعليم، وقد مارس الرسول ﷺ ذلك بنفسه، وشجع علىٰ طلب العلم، وأوصىٰ بطلابه، وبين ما للمشاركة فيه من أجر، حتىٰ بلغ التشجيع العلمي أوجه، وفتح باب العلم للجميع ليس بينه وبين أحد حاجز أو مانع. وأبلغ من هذا كله، أن رسول الله ﷺ حذر العلماء من

---

(١) هكذا في مجمع الزوائد (تاماً حجته) ورجاله ثقات انظر جـ ١ ص١٢٣ منه.

(٢) مسند الإمام أحمد جـ ١٣ ص١٦١ حديث ٧٤٢١ إسناده صحيح.

(٣ و٤) أخرجه الترمذي وابن ماجه، وضعفه بعضهم لضعف أبي هارون العبدي، إلا أنه ورد من غير طريق الترمذي بطريق حسن بل صحيح كما قال مغلطاي، انظر فيض القدير جـ ٢ ص٤٠٠.

أن يتساهلوا في أداء واجبهم وتعليم الجاهلين وأنذرهم بالعقاب، وحذر الجاهلين من البقاء علىٰ جهلهم، وحثهم علىٰ طلب العلم، وعلىٰ تحطيم ربقة الجهل وعدم المعرفة، وحضهم علىٰ قرع أبواب العلماء، ويتجلىٰ هذا بوضوح فيما رواه عبد الرحمن بن أبزىٰ عن أبيه عن جده قال: خطب النبي ﷺ ذات مرة فأثنىٰ علىٰ طوائف من المسلمين خيراً، ثم قال: (ما بال أقوام لا يفقّهون جيرانهم ولا يعلمونهم ولا يعظونهم ولا يأمرونهم ولا ينهونهم، وما بال أقوام لا يتعلمون من جيرانهم ولا يتفقهون ولا يتّعظون، والله لَيُعَلِّمَنَّ قوم جيرانهم، ويفقهونهم، ويعظونهم، ويأمرونهم، وينهونهم، وَلَيَتَعَلَّمَنَّ قوم من جيرانهم ويتفقهون ويتّعظون أو لأعاجلنَّهم العقوبة، ثم نزل. فقال قوم: من ترونه عنى بهؤلاء؟ قال: الأشعريين هم فقهاء ولهم جيران جفاة من أهل المياه[1] والأعراب، فبلغ ذلك الأشعريين، فأتوا رسول الله ﷺ، فقالوا: يا رسول الله ذكرت قوماً بخير وذكرتنا بشر فما بالنا؟ فقال: لَيُعَلِّمَنَّ قوم جيرانهم، وَلَيُفَقِّهنَّهم وَلَيعظنّهم وَلَيأمرنّهم وَلَينَهوُنَّهم، وَلَيَتَعَلَّمنَّ قوم من جيرانهم ويتعظون ويتفقهون أو لأعاجلنَّهم العقوبة في الدنيا فقالوا: يا رسول الله أنفطن[2] غيرنا؟ فأعاد قوله عليهم، فأعادوا قولهم أنفطّن غيرنا؟ فقال ذلك أيضاً، فقالوا: أمهلنا سنة فأمهلهم سنة ليفقهوهم ويعلّموهم ويعظوهم، ثم قرأ ﷺ هذه الآية: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَ﴾[3] [المائدة: ٧٨].

---

(١) المقصود بأهل المياه من يتتبع الأرض الخصبة طلباً للمرعىٰ وللماء.

(٢) أنفطن أي أنفهم غيرنا ونوقظ همته.. ونوقظ هذا.

(٣) مجمع الزوائد ص١٦٤ جـ ١ وقد رواه الطبراني في معجمه الكبير، وفيه بكير بن معروف قال البخاري ارم به، ووثقه أحمد في رواية وضعفه في أخرىٰ، وقال ابن عدي أرجو أنه لا بأس به. فالحديث فيه لين. وأخرجه المنذري في الترغيب والترهيب بلفظ (عن) إشارة إلىٰ أنه وجد من صحح الحديث أو حسنه ممن أخرجه. انظر الترغيب والترهيب جـ ١ ص٨٦ ـ ٨٧ وقارن بالصفحة ٣ منه.

لقد بين هذا الحديث مسؤولية العلماء، كما بين واجب من لا يعلم، وحث الفريقين علىٰ أداء واجبهما، أهل العلم ينشرون العلم ويبينونه، والجاهل يسعىٰ إليهم ويتعلم... ورتب علىٰ إخلال أحد الفريقين أو كليهما بواجبه ـ عقوبة زاجرة رادعة... من خلال هذا الحديث يظهر لنا المستوىٰ العلمي الذي أراده الإسلام للمسلمين، فبعد أن حارب الجهل في جميع الميادين بمختلف الوسائل، وبعد أن فتح أبواب المعرفة وهيأ لها أهلها ـ رتب العقوبة الزاجرة علىٰ الجهل، ذلك لأن الجهل عدو الفكر، يحول بين المرء والمعرفة فيبقىٰ الإنسان أسير جهله سجين أوهامه بعيداً عن الحق والحقيقة، ولو أن هذا الحديث طبق في الأعصر الأخيرة في المجتمع الإسلامي لما رأيت مكاناً لجاهل، ولا درجة رفيعة لعالم لا يعمل بعلمه، بل لما وجد الجهل إلىٰ المسلمين سبيلاً.. والحق أن أرقىٰ الدول في هذا القرن تتبنىٰ التعليم وترعاه وتسهل كل ما يتعلق به.. أما أن دولة تعاقب عالماً لا يُعَلِّم أو لا يعمل أو جاهلاً لا يتعلم. فهذا أمر لم تصل إليه أمة من الأمم بعد، في حين أن الإسلام قرر ذلك قبل أربعة عشر قرناً.

كل ما ذكرناه آنفاً من التشجيع العلمي والتزام الدولة الإسلامية بأداء واجبها في هذا الميدان، وإقبال الأمة علىٰ العلم، وتفتح القلوب للإسلام: عقيدة وعبادة وشريعة وأخلاقاً، كل ذلك ولد نشاطاً علمياً واسعاً في مختلف ميادين العلم والمعرفة في الدولة الإسلامية ـ في القرون التسعة الأولىٰ ـ نشاطاً لم يعهد التاريخ مثله، فحقق الازدهار الحضاري العظيم الذي خلد أعمال العلماء المسلمين، وأمد التراث الإنساني بذخيرة علمية قيمة في مختلف الميادين العلمية والاقتصادية والعسكرية والسياسية والقضائية والطبية، والأدبية والفلكية، والتشريعية والتربوية، والرياضية والهندسية علىٰ اختلاف أنواعها وفي علم النفس والمجتمع

وغيرها من العلوم، لا يزال العالم مديناً لها حتىٰ هذا العصر[1].

وقد أثرىٰ علماؤنا المكتبة بمؤلفات عظيمة فريدة، وأمدوها ببنات أفكارهم، وأودعوها نتائج تجاربهم العملية، وحصادَ جهودهم، مع حسن التوثيق والأمانة العلمية، خدمة لبني الإنسان، فخلد التاريخ جهودهم، وأكبر الخلف أعمالهم وبحوثهم، وأنزلهم أهل العلم والاختصاص منازلهم.

وقد درس بعض علمائنا في أكثر جامعات الفرنجة، ودرس بعض طلابهم في بلادنا بين يدي علمائنا، ودرست مؤلفات علمائنا في أكثر جامعات العالم، وبقيت من أهم المراجع العلمية لأكثر العلوم إلىٰ عهد قريب، فكان علماؤنا قدوة في البحث والتصنيف لرواد النهضة العلمية وأئمتها[2].

**ب ـ تدوين العلم:**

إن أعلىٰ ما يعبر به الإنسان عن فكره وأحاسيسه هو الكلام بمجموع ألفاظ مفرداته وجمله، وهو الوسيلة الأولىٰ للخطاب ونشر العلم وكسب المعرفة، والإنسان في خطابه وعباراته المنطوقة أقوىٰ علىٰ التعبير عما يريد وأفصح من محاولته ذلك بأي وسيلة أخرىٰ. ويلي العبارة المنطوقة في الإفصاح عن الفكر ـ العبارة المكتوبة[3]، ومن ثم كان للكتابة عند الأمم جميعاً أثر بعيد، وكان لها الفضل الكبير في حفظ تراث

---

(١) وانظر العلم عند العرب وأثره في تطور العلم العالمي ص٤٢٣ ـ ٤٨٣. وانظر فضل العرب علىٰ أوربة لسيجريد هونكه. وانظر (قضية أثر العلوم العربية الإسلامية في النهضة الأوربية) للدكتور فؤاد سيزكين، وانظر كتاب (ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين) للمرحوم أبي الحسن الندوي. وانظر كتاب (تاريخ التعليم عند المسلمين والمكانة الاجتماعية لعلمائهم حتىٰ القرن الخامس مستقاة من تاريخ بغداد للخطيب البغدادي) تصنيف الدكتور منير الدين أحمد ترجمة وتلخيص وتعليق الدكتور سامي الصقار. جامعة الرياض طبع دار المريخ ـ الرياض سنة (١٤٠١هـ / ١٩٨١م).

(٢) انظر هوامش المكتبات التي تضم مخطوطات عربية في أوربا وأمريكا. من هذا الكتاب.

(٣) قال ابن خلدون: (الخط والكتابة من عداد الصنائع الإنسانية، وهو رسوم وأشكال حرفية تدل علىٰ الكلمات المسموعة الدالة علىٰ ما في النفس فهو ثاني رتبة من الدلالة اللغوية) المقدمة ص٤١٧.

الأمم السابقة في دواوين العلم، وقد ازدادت أهمية الكتابة وآثارها في العصر الحاضر، وتطورت وسائل الطباعة تطوراً سريعاً يناسب روح العصر ويفي بحاجته.

ولا يهمنا في هذا المقام أن نستعرض نشأة الكتابة وتدرجها، من حالتها البدائية إلىٰ أرقىٰ صورها، وإنما يهمنا أن نعرف الكتابة عند العرب قبيل الإسلام وبعده. وسنوجز هذا فيما يلي:

## ١ ـ الكتابة عند العرب قبيل الإسلام:

تدل الدراسات العلمية علىٰ أن العرب كانوا يعرفون الكتابة قبل الإسلام، فكانوا يؤرخون أهم أحداثهم علىٰ الحجارة، وقد أثبتت الأبحاث الأثرية بأدلة قاطعة، تعود إلىٰ القرن الثالث الميلادي، وأكثر الآثار التي تحمل كتابات العرب كانت في الأطراف الشمالية للجزيرة العربية[١]، حيث كان الاتصال وثيقاً بالحضارة الفارسية والرومية، ومما يذكر أن عدي بن زيد العبادي (المتوفىٰ سنة ٣٥ ق هـ) حين نما وأيفع طرحه أبوه في الكتاب حتىٰ حذق العربية، ثم دخل ديوان كسرىٰ، وهو أول من كتب بالعربية في ديوان كسرىٰ[٢]، وهذا يدل علىٰ وجود بعض الكتاتيب في الجاهلية، يتعلم فيها الصبيان الكتابة والشعر وأيام العرب، ويشرف علىٰ الكتاتيب معلمون ذوو مكانة رفيعة، أمثال أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس، وبشر بن عبد الملك السكوني، وأبي قيس بن عبد مناف، وعمر بن زرارة (الكاتب) وغيرهم[٣].

---

(١) انظر مصادر الشعر الجاهلي ص٢٤ ـ ٣٢ وكتابنا أصول الحديث ص١٣٩.

(٢) انظر الأغاني من ص١٠١ ـ ١٠٢ جـ ٢.

(٣) انظر كتاب المحبر ص٤٧٥ ذكرهم تحت عنوان أشراف المعلمين. ويذكر الطبري أن أبا جفينة استقدم إلىٰ المدينة ليعلم الكتابة (تاريخ الأمم والملوك ص٤٢ جـ ٥). وقد كان العرب يطلقون اسم الكامل علىٰ كلِّ رجل يكتب، ويحسن الرمي، ويجيد السباحة، انظر طبقات ابن سعد ص١٣٦ قسم ٢ ج٣، وعيون الأخبار ص١٦٨ ج٢. ولكن كثيراً من الشعراء كانوا يفخرون بحفظهم وقوة ذاكرتهم، وكان بعضهم يخفي علىٰ الناس معرفته بالكتابة. انظر أصول الحديث (١٤٠).

(وكان بعض اليهود قد علم كتاب العربية. وكان يعلمه الصبيان بالمدينة في الزمن الأول، فجاء الإسلام وفي الأوس والخزرج عدة يكتبون)[1].

## ٢ ـ الكتابة في العصر النبوي وصدر الإسلام:

مما لاشك فيه أن الكتابة انتشرت في عهد النبي ﷺ علىٰ نطاق أوسع مما كانت عليه في الجاهلية، فقد حث القرآن الكريم علىٰ التعلم، وحض الرسول ﷺ علىٰ ذلك أيضاً، واقتضت طبيعة الرسالة أن يكثر المتعلمون: القارئون، الكاتبون، فالوحي يحتاج إلىٰ كتّاب، وأمور الدولة من مراسلات وعهود ومواثيق تحتاج إلىٰ كتاب أيضاً، وقد كثر الكاتبون بعد الإسلام فعلاً، ليسدوا حاجات الدولة الجديدة، فكان للرسول ﷺ كتاب للوحي بلغ عددهم أربعين كاتباً[2] وكتاب للصدقة. وكتاب للمداينات والمعاملات، وكتاب للرسائل يكتبون باللغات المختلفة[3].

وقد كثر الكاتبون بعد الهجرة عندما استقرت الدولة الإسلامية، وأرست قواعدها القوية في المدينة، فكانت مساجد المدينة التسعة إلىٰ جانب مسجد الرسول ﷺ محطّ

---

(١) فتوح البلدان ص٤٥٩.

(٢) ومن أشهر هؤلاء الكتاب من المهاجرين والأنصار: الخلفاء الأربعة، ومعاوية وخالد وأبان ابنا سعيد بن العاص بن أمية، وأبي بن كعب، وزيد بن ثابت، وثابت بن قيس، وأرقم بن أبي، وشرحبيل بن حسنة، وعبد الله بن رواحة، وعمرو بن العاص، وحنظلة بن الربيع، وعبد الله بن الأرقم الزهري، وغيرهم. انظر مناهل العرفان في علوم القرآن ص٢٣٩ وص٣٦٠ ج١، والمدخل إلىٰ علوم القرآن ص٢٦٠ ـ ٢٦١ ج١.

(٣) انظر كتاب المصباح المضيء في كتاب النبي الأمي ورسله إلىٰ ملوك الأرض من عرب وعجم لمحمد بن علي الأنصاري (مخطوط مكتبة الأوقاف بحلب رقم ٢٧٠ ص١٦ ـ ٤٠).

ولابد من أن نشير هنا إلىٰ أن ما ذكره المؤرخون من أسماء كتابه ﷺ لم يكن علىٰ سبيل الحصر، بل ذكروا من داوم علىٰ الكتابة بين يديه، وواضح هذا في قول المسعودي: (إنما ذكرنا من أسماء كتابه ﷺ من ثبت علىٰ كتابته واتصلت أيامه فيها، وطالت مدته، وصحت الرواية علىٰ ذلك من أمره، دون من كتب الكتاب والكتابين والثلاثة، إذ كان لا يستحق بذلك أن يسمىٰ كاتباً، ويضاف إلىٰ جملة كتابه) التنبيه والإشراف ٢٤٦.

أنظار المسلمين، يتعلمون فيها القرآن الكريم، وتعاليم الإسلام والقراءة والكتابة، وقد تبرع المسلمون الذين يعرفون القراءة والكتابة بتعليم إخوانهم[1]، ولا يفوتنا أن نذكر أثر غزوة بدر في تعليم صبيان المدينة، حينما أذن الرسول ﷺ لأسرىٰ بدر بأن يفدي كل كاتب منهم نفسه بتعليم عشرة من صبيان المدينة القراءة والكتابة[2].

ثم اتسع نطاق التعليم، وانتشر في الآفاق الإسلامية بانتشار الصحابة رضوان الله عليهم، وكثرت حلقاتهم وانتظمت في المساجد وكثر المعلمون، وانتشرت الكتاتيب في مختلف أنحاء الدولة الإسلامية وغصت بروادها[3].

وقد كان لانتشار الكتابة وإتقانها أثر بعيد في تدوين العلم وحفظه، وأول ما دون في عهد الرسول ﷺ ما كان يتنزل به الوحي من القرآن الكريم، والوثائق والمعاهدات، والكتب إلىٰ الولاة وغير ذلك مما تحتاج إليه الدولة، كما دون جانب من الحديث النبوي في عهد الرسول ﷺ علىٰ يد من سمح له بكتابته كعبد الله بن عمرو بن العاص، ثم ما لبث أن اعتمد أهل العلم علىٰ تدوين كل ما له صلة بعلوم الشريعة، وما كاد القرن الهجري الثالث يأفل نجمه حتىٰ كثرت المؤلفات في مختلف العلوم[4]. قال ابن خلدون: (وطما بحر العمران والحضارة في الدول الإسلامية في كل قطر وعظم الملك ونفقت أسواق العلوم وانتسخت الكتب وأجيد كتبها وتجليدها، وملئت بها القصور والخزائن الملوكية بما لا كفاء له ..)[5].

وقد آن لنا ـ بعد هذا التمهيد الموجز ـ أن ننتقل إلىٰ أهداف المكتبة وآثارها التربوية.

---

(١) انظر كتابنا أصول الحديث ص١٤٢.

(٢) انظر طبقات ابن سعد ص١٤ قسم ١ ج٢.

(٣) لقد غص كتّاب الضحاك بن مزاحم (المتوفىٰ سنة ١٠٥ هـ) بالطلاب حتىٰ اضطر إلىٰ أن يطوف علىٰ حمار ليشرف علىٰ طلاب مكتبه، الذين بلغ عددهم ثلاثة آلاف صبي، وكان الضحاك لا يأخذ أجراً علىٰ عمله. (انظر معجم الأدباء ص١٦ ج١٢)، وكتاب (الأعلاق النفسية ص٢١٦).

(٤) انظر الفصل الثاني من هذا الكتاب (أهم المصادر والمراجع).

(٥) المقدمة لابن خلدون ص٤٢٠.

**ثانياً ـ أهداف المكتبة وأثرها التربوي :**

نحاول أن نوجز هذه الأهداف والآثار فيما يلي:

١ ـ الغاية من المكتبة المدرسية في المرحلة الابتدائية والمتوسطة والثانوية ـ تشجيع الطلاب علىٰ المطالعة، وتنمية ميولهم نحو القراءة حتىٰ تصبح المطالعة عادة أصيلة عندهم تستفرغ بعض طاقاتهم في أوقات الفراغ. والمكتبة في الكلية أو الجامعة تفي بحاجة الطلاب وتشبع تلك الميول والعادات التي نشأت قبل المرحلة الجامعية.

٢ ـ والهدف الثاني من أهداف المكتبة هو تنمية قدرات الطلاب في الاعتماد علىٰ أنفسهم في كسب المعرفة والتعلم الذاتي، والتدرج في البحث، وحسن استيفاء المعلومات من المصادر والمراجع المطبوعة والمخطوطة[1]، وعدم الاعتماد علىٰ المدرس في كل شيء. حتىٰ يصل الطالب إلىٰ مرحلة الاستقلال في أبحاثه.

٣ ـ إذا سلك النظام التدريسي طريقة الفصول والمحاضرات والفصل بين المقررات ـ إنما سلك هذا السبيل لتسهيل عرض العلوم علىٰ الطلاب وتنسيق الأعمال التدريسية، ولم يقصد من وراء ذلك الفصل بين المواد والمقررات العلمية حقيقة، فإن العلوم يتمم بعضها بعضاً، كما يكمل كل مقرر غيره وهنا يأتي دور المكتبة فتهدم الحواجز التي تفصل بين المعارف البشرية ـ شكلاً لا حقيقة ـ بعضها عن بعض تلافياً لما يحدث في تدريس كل موضوع بمفرده في قاعات المحاضرات. وبهذا تظهر المعارف الإنسانية مجموعة متكاملة.

---

(١) وغيرها من المواد التي تضمها المكتبة كالأفلام والشرائح والأشرطة المسجلة والمصورات والخرائط والمجسمات والهياكل، وغيرها من المواد السمعية والبصرية التي تتوفر في المكتبات الحديثة مما تسهل للطالب سبل العلم والمعرفة. والاستفادة من المواقع العلمية النافعة علىٰ الإنترنيت، ولابد من التنبه إلىٰ التوثيق العلمي.

٤ ــ تساهم المكتبة مساهمة فعالة في بناء المواطن الصالح. بما تهيئه من الغذاء العقلي والزاد الروحي لأبناء الأمة، فتوسع المدارك. وتقضي علىٰ الجهل قضاء النور علىٰ الظلام، وفي هذا الخير العميم للفرد والجماعة، هذا إلىٰ جانب ما تغرسه المطالعة في دور الكتب من عادات اجتماعية فاضلة في نفوس روادها، كالأمانة والتعاون الجماعي والتوجيه والمساعدة والمحافظة علىٰ الأنظمة والحرص علىٰ الكتب من التلف أو سوء الاستعمال، لأنها من ذخائر الأمة وتراثها... هذا إلىٰ جانب احترام آراء الآخرين وحرياتهم.

٥ ــ تساعد المكتبة في تطبيق جميع موضوعات المناهج النظرية والعملية المقررة بما توفره للباحث من مواد تعليمية تساعده علىٰ الوصول إلىٰ بغيته.

٦ ــ المكتبة عامل هام في الكشف عن الميول الفردية والمهارات والقابليات الشخصية، وليس هذا العامل خاصاً بالمدرسين الذين يشرفون علىٰ أبحاث الطلاب، ويراجعونها، ويضعون الملاحظات عليها، ويوجهون أصحابها الوجهات السليمة، بل تتعداهم إلىٰ أولياء الأمور وإلىٰ الطلاب أنفسهم، فكثيراً ما يكشف الطالب ميله بنفسه بالمطالعة والممارسة، فيشعر بالارتياح والتجاوب مع موضوعات دون غيرها، كما يلمس في نفسه بعد ذلك القدرة علىٰ محاكاة أديب أو مضاهاة كاتب، فيرتقي من مرحلة التقليد إلىٰ مرحلة الاستقلال بشخصيته الأدبية أو العلمية ومن ثم يتضح دور المكتبة الهام في الكشف عن المواهب وتنميتها وصقلها.

**ثالثاً ـ نشأة المكتبات :**

لا نستطيع أن نحدد أول من أنشأ مكتبة في العصور القديمة، كما لا نستطيع أن نقطع في أقدم مكان أنشئت فيه أولىٰ المكتبات، إلا أن الحفريات والتنقيب عن الآثار تدل علىٰ أنه لعل من أولىٰ المكتبات ما قد ظهر قديماً في منطقة ما بين النهرين في

العراق وفي وادي النيل، حيث وجد ما يدل علىٰ ذلك، وتعود المكتبات إلىٰ ما قبل الميلاد[1].

وقد حفظ العرب قبل الإسلام بعض آثارهم الفكرية ووقائعهم بنقشها علىٰ الحجارة خشية اندثارها. كما اشتهرت المعلقات التي تحمل خيرة قصائد فحول الشعراء.

ولا نغالي إذا قلنا إن المكتبات في الإسلام قد نشأت مع نشأة المساجد إذ لم يكن المسجد مكاناً خاصاً للعبادة فحسب، بل كان مركز الحياة الاجتماعية والسياسية، ومركز إدارة الدولة وتسيير أمورها، كما كان محط أنظار المسلمين، ومعقد حلقات العلم، واجتماع العلماء وتعليم أبناء المسلمين القرآن الكريم والتفسير والحديث وأصول العربية وغير ذلك، ومن ثم فلا عجب من اهتمام الرسول ﷺ ببناء مسجد قباء بعد الهجرة مباشرة، ثم تأسيس مسجده ﷺ في المدينة المنورة في الأيام الأولىٰ من وصوله إليها، ثم كثرت المساجد فيها وفي البلاد الإسلامية، ولما كان المسجد أولىٰ المعاهد في صدر الإسلام، كان لا يخلو من صحف القرآن الكريم وتفسيره، وصحف الحديث وغيره. ويسعنا أن نقول إن أولىٰ المكتبات كانت بيت رسول الله ﷺ حيث كان يجمع فيه ما يدونه كتاب الوحي من التنزيل الحكيم، ثم نقلت الصحف من بيت الرسول ﷺ ومن عند الصحابة إلىٰ بيت أبي بكر، بعد أن جمعت في مصحف في عهد الصديق علىٰ يد زيد بن ثابت رضي الله عنه أحد كبار كُتَّاب الوحي

---

(١) فقد وجد في أخربة نينوىٰ وبابل وتل العمارنة ما يدل علىٰ قدم ذلك. كما عثرت إحدىٰ البعثات الأمريكية في وادي الفرات علىٰ مكتبة تحوي ثلاثين ألف آجرة ـ لبنة من الطين المجفف ـ مكتوب عليها بالخط المسماري ـ الشؤون الإدارية والفنية والأدبية. كما عثر علىٰ مكتبات في وادي النيل من أقدمها مكتبة (أوسيمندياس، ومكتبة حوتب وخوفر وخفرع) وكانت هناك مكتبات قديمة مشهورة كمكتبة الرها، والقدس والإسكندرية وغيرها. انظر كتاب (خزائن الكتب العربية في الخافقين ص ٨٤ ج١ وكتاب البحث والمكتبة ص٩).

وحفاظه، ثم حفظت هذه الصحف عند عمر بن الخطاب أيام خلافته، وبقيت عند حفصة رضي الله عنها إلىٰ أن استعارها عثمان بن عفان رضي الله عنه منها ونسخ عنها المصاحف وأرسلها إلىٰ الأقطار الإسلامية، ثم ردها إليها.

إلىٰ جانب هذا كان لبعض الصحابة والتابعين كتب في بيوتهم بمنزلة المكتبات الخاصة التي عرفت فيما بعد، فقد كان عند سعد بن عبادة الأنصاري (-١٥هـ)[١]. كتاب أو كتب فيها طائفة من أحاديث رسول الله، وعند عبد الله بن مسعود مصحفه المشهور وصحف أخرىٰ بخطه[٢]، وعند أسماء بنت عميس (-٣٨هـ)[٣] كتاب جمعت فيه بعض أحاديث الرسول ﷺ. وقد اشتهرت صحيفة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (-٤٠هـ) التي كان يعلقها في سيفه فيها أسنان الإبل، وأشياء في الجراحات، وحرم المدينة ولا يقتل مسلم بكافر[٤].

وكان عند أبي هريرة رضي الله عنه (-٥٩هـ) صحف كثيرة فيها حديث النبي عليه الصلاة والسلام[٥]. وكان عبد الله بن عمرو بن العاص (-٦٥هـ) يحفظ كتبه وصحفه في صندوق له حلق، كما كان لابن عباس (-٦٨هـ) كتب كثيرة بلغت حمل بعير !!! وكان عند عبد الله بن عمر (-٧٣هـ) كتب كان إذا خرج إلىٰ السوق نظر فيها.

وكان عند عروة بن الزبير (٢٢ ـ ٩٣هـ) كتب احترقت يوم الحرة فحزن عليها وكان يقول (وددت لو أن عندي كتبي بأهلي ومالي).

وأوصىٰ أبو قلابة (عبد الله بن زيد الجرمي ـ ١٠٤هـ) أحد كبار التابعين بكتبه لأيوب السختياني (٦٨ ـ ١٣١هـ) فجيء بها في عدل راحلة. وقال الحسن البصري

---

(١) أصول الحديث ص١٩١ عن جامع بيان العلم ص٧٢ ج١.

(٢) انظر السنة قبل التدوين ص٣٤٥ ومناهل العرفان ص٢٥٤ ج١.

(٣) انظر أصول الحديث ص١٩٢ ـ ١٩٧.

(٤) انظر السنة قبل التدوين ص٣٤٥.

(٥) انظر كتابنا أصول الحديث علومه ومصطلحه ص١٩٢ ـ ١٩٧.

(٢١ ـ ١١٠ هـ) إن لنا كتباً نتعاهدها[١].

وأخبار الكتب والمكتبات كثيرة جداً، وإنما سقنا ما سلف لنبين اهتمام المسلمين بالعلم أفراداً ومسؤولين، رعاة ورعية، وقد كثرت المكتبات العامة منذ أواخر القرن الهجري الثاني، وأمدها الخلفاء والأمراء والمسؤولون بما تحتاج إليه من الموظفين والمواد الكتابية، وما يلزم لتجليد الكتب وغير ذلك[٢]، وزودوها بأمهات الكتب في مختلف العلوم، وتبارىٰ الخلفاء والأمراء في مشرق الدولة الإسلامية ومغربها وفي الأندلس في الحصول علىٰ أنفس الكتب[٣] وأندرها، حتىٰ زخرت خزائن المكتبات العامة بآلاف المجلدات، وقد روي أن خزانة قرطبة ضمت أربعمائة ألف مجلدة[٤] إبان ازدهار الخلافة في الأندلس، في حين أن شارل الخامس ملك فرنسا في القرن الثامن الهجري (الرابع عشر الميلادي) لم يستطع أن يجمع في مكتبة فرنسا الرئيسية أكثر من (٩٠٠) تسعمائة مجلدة خمسها في اللاهوت[٥].

---

(١) انظر كتاب أصول الحديث ص١٩٩.

(٢) كما نشطت صناعة الورق لسد حاجات التأليف والعلماء وطلاب العلم، وحاجات الدولة المختلفة، وتعددت مراكزها، فقد كان في الأندلس مصانع غرناطة وبلنسية، وطليطلة يصنع فيها أجود أنواع الورق. عن محاضرة الدكتور عبد الرحمن علي الحجي بعنوان (الكتب والمكتبات في الأندلس) التي ألقاها مساء ٢٨/ ١٠/ ١٣٨٩ هـ في قاعة المحاضرات بجامعة الرياض.

(٣) كان الحكم صاحب الأندلس يبعث في شراء الكتب إلىٰ الأقطار رجالاً من التجار، ويرسل إليهم الأموال لشرائها حتىٰ جلب منها إلىٰ الأندلس ما لم يعهدوه، وعندما سمع بكتاب الأغاني أرسل لمصنفه أبي الفرج الأصفهاني ألف دينار من الذهب العين، فبعث إليه بنسخة منه قبل أن يخرجه في العراق، وكذلك فعل مع القاضي أبي بكر الأبهري سنة (٣٧٥هـ) في شرحه لمختصر ابن عبد الحكم. انظر تاريخ التربية الإسلامية ص١٤٦ ج٤.

(٤) وذكر المستشرق وليم درابر أنها ضمت ستمائة ألف مجلدة. انظر فهارس المكتبة العربية في الخافقين ص٤. «عن كتاب (المنازعة بين الدين والعلم) لرابر».

(٥) عن محاضرة الدكتور الحجي.

**رابعاً ـ أشهر المكتبات في الإسلام:**

وإن المقام لا يتسع لذكر جميع المكتبات في البلاد الإسلامية عبر العصور. وسنكتفي بذكر أشهر المكتبات في البلاد الإسلامية فيما مضىٰ، ثم نتبع بهذا أشهرها في العصر الحاضر:

١ ـ دار الحكمة: أو بيت الحكمة، وقد رجح المؤرخون أن أول من أسس هذه الدار الجامعة لمختلف المؤلفات هو الخليفة هارون الرشيد (١٤٩ ـ ١٩٣هـ)، ثم أمدها ابنه المأمون من بعده بالمؤلفات الكثيرة والدواوين الضخمة، حتىٰ صارت هذه المكتبة من أكبر خزائن الكتب في العصر العباسي، وظلت هذه الخزانة[1] قائمة يستفيد منها الرواد والعلماء وطلاب العلم إلىٰ أن استولىٰ المغول علىٰ بغداد سنة (٦٥٦هـ)[2].

٢ ـ دار العلم: وهي خزانة العبيديين بمصر، ألحقها الحاكم العبيدي صاحب مصر بدار الحكمة، التي أنشأها علىٰ غرار جامعات بغداد وقرطبة، وقد جمع في دار العلم كتباً كثيرة، وأقام فيها المسؤولين وخصص لهم الجرايات، وجعل في المكتبة ما يحتاج إليه المطالعون والنساخ من الحبر والمحابر والأقلام والورق. وقد كانت هذه الدار من أعظم الخزائن التي عرفها العالم الإسلامي فيما مضىٰ، وأكثرها جمعاً للكتب النفيسة من جميع العلوم، وبقيت علىٰ ذلك إلىٰ أن انقرضت دولة

---

(١) المقصود بالخزانة القاعة الكبيرة بخزائنها (مكتباتها) التي تضم الكتب، وليس المقصود بها المكتبة الصغيرة التي تضم بعض الكتب.

(٢) قال القلقشندي رحمه الله: «قد كان للخلفاء والملوك في القديم بها ـ (أي بخزائن الكتب) ـ مزيد اهتمام، وكمال اعتناء، حتىٰ حصلوا منها علىٰ العدد الجم، وحصلوا علىٰ الخزائن الجليلة ويقال: إن أعظم خزائن الكتب في الإسلام ثلاث. وذكر خزانة الخلفاء العباسيين ببغداد وهي دار الحكمة أو بيت الحكمة، وخزانة الخلفاء الفاطميين بمصر، وخزانة بني أمية بالأندلس. انظر صبح الأعشىٰ ج١ ص٤٦٦ ـ ٤٦٧ وقارن بتاريخ الإسلام السياسي ص٢٧٤ جـ٢ وبضحىٰ الإسلام ص٦١ ج٢.

الفاطميين بموت العاضد (-٥٦٧هـ) آخر خلفائهم[1].

٣ ـ مكتبة قرطبة: كثرت المكتبات في الأندلس وبلغت نحو سبعين مكتبة أيام الخلافة سوىٰ المكتبات الخاصة، وأعظم تلك المكتبات وأشهرها مكتبة قرطبة التي أنشأها الأمويون ورعاها الخلفاء، وقد بلغت أوج ازدهارها في عهد المستنصر (٣٥٠ ـ ٣٦٦هـ) الذي كان له وكلاء في البلاد الإسلامية الكثيرة، يزودونه بكل ما ينتجه العلماء المسلمون من مؤلفات، وبهذا أثرىٰ المستنصر مكتبة قرطبة بما لا يحد ولا يعد ولا يوصف من الكتب، وقد روي أنها جمعت أربعمائة ألف مجلدة[2].

وتلي هذه المكتبات في الشهرة مكتبات أخرىٰ لها مكانتها وأثرها في العالم الإسلامي، وأشهر هذه المكتبات:

٤ ـ المكتبة الحيدرية بالنجف في العراق، ولا تزال هذه المكتبة قائمة حتىٰ هذا الوقت، وسميت الحيدرية نسبة إلىٰ حيدر وهو اسم الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه، عند عامة الشيعة، والمكتبة الحيدرية هي خزانة المشهد الشريف الذي فيه قبر أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ـ كما تقول الشيعة، فقد اختلف المؤرخون في

---

(١) وقد اشترىٰ القاضي الفاضل أكثر كتب هذه الخزانة، ووقفها بمدرسته الفاضلية بدرب ملوخيا بالقاهرة، فبقيت فيها إلىٰ أن استولت عليها الأيدي فلم يبق منها إلا القليل «صبح الأعشىٰ ج١ ص ٤٦٧».

ولابد لنا من أن نشير هنا إلىٰ أن الفاطميين قد ألحقوا بقصورهم مكتبات كبيرة تحتوي علىٰ مئات الألوف من المصنفات، وروىٰ المقريزي أنه كان في القصر أربعون خزانة من جملتها خزانة فيها (١٨.٠٠٠) ثمانية عشر ألف مجلدة في العلوم القديمة. عن تاريخ الإسلام السياسي ج٣ ص٣٢٩.

ولابد من أن نشير هنا أيضاً إلىٰ أن الأزهر كان قد اقتصر علىٰ إقامة الدعوة الفاطمية، ثم جاء يعقوب بن كلس وحوله سنة (٣٧٨هـ) إلىٰ جامعة تدرس فيها العلوم الإسلامية والآداب.

(٢) ليس هذا العدد غريباً أو بعيداً، ذلك لأن فهارس دواوين الشعر التي ضمتها مكتبة قرطبة بلغت (٤٤) كراسة كل منها في عشرين ورقة، فإذا كان هذا العدد الكبير مقصوراً علىٰ الدواوين، فكم يكون عدد فهارس المؤلفات في مختلف العلوم الشرعية وما يلحق بها، وكم يكون عددها في العلوم الأخرىٰ؟ انظر تاريخ الإسلام السياسي ص٣٢٩ ـ ٣٣٠ج٣.

موضع قبره رضي الله عنه ـ وترجع هذه المكتبة إلىٰ عهد بعيد جداً، وقد اهتم بها الأمراء والوزراء وأعيان الشيعة، ومن أشهر من اهتم بها قديماً عضد الدولة البويهي (-٣٧٢هـ) ولعل إلحاقها بالمشهد كان سبباً قوياً في بقائها حتىٰ هذا العصر. ولكن الاستفادة منها في هذه الأيام قليلة لأنها لا تفتح للجمهور[١].

٥ ـ مكتبة ابن سوار بالبصرة: أسس هذه المكتبة أبو علي بن سوار الكاتب، أحد رجال عضد الدولة البويهي، وفيها كتب كثيرة. وكان فيها شيخ يُدرس عليه مذهب الاعتزال[٢].

٦ ـ خزانة سابور: أنشأ هذه الخزانة سابور بن أردشير (-٤١٦هـ) سنة (٣٨٣هـ) بالكرخ وسماها «دار العلم» وزودها بكتب كثيرة زادت علىٰ عشرة آلاف كتاب في مختلف العلوم وكانت هذه المكتبة مركزاً ثقافياً هاماً يلتقي فيه العلماء والباحثون للقراءة والمطالعة والمناظرة، وكان أبو العلاء المعري يكثر التردد إليها عندما كان في بغداد[٣].

٧ - خزانة كتب الوقف بمسجد الزيدي ببغداد: أنشأها أبو الحسن علي بن أحمد الزيدي (-٥٧٥هـ) وزودها بالكتب الكثيرة، كما ساهم غيره بتزويدها[٤].

٨ - مكتبة رامهرمز: أنشأها ابن سوار في مدينة رام هرمز علىٰ غرار مكتبته بالبصرة[٥]. ولا بد لنا في هذا المقام من أن نذكر مكتبات المدارس التي ألحقت بهذه المؤسسات العلمية التي كثرت في شرق الدولة الإسلامية ومغربها، فقلما

---

(١) انظر كتاب دراسات في الحضارة الإسلامية ص١٨٥ ج٤ وما بعدها.

(٢) انظر كتاب دراسات في الحضارة الإسلامية ص١٨٧ ج٤ وما بعدها.

(٣) انظر كتاب دراسات في الحضارة الإسلامية ص١٨٧ ج٤ وما بعدها.

(٤) المرجع السابق ص١٨٨ ج٤.

(٥) وقد عمرت بالقراء والنساخ والعلماء... انظر: معجم البلدان ص٢١١-٢١٢ ج٤، وصفه لرامهرمز، وأحسن التقاسيم ص٤١٣، والمسالك والممالك ص١٧٥ و١٧٧.

خلت مدرسة من المدارس من مكتبة كبيرة تتبعها، تزود بالنتاج الفكري الإسلامي الذي تفتح ونضج في تلك العصور، كمكتبة المدرسة النظامية[1]، والمدرسة المستنصرية[2]، ومكتبات مدارس دمشق[3]، ومكتبة المدرسة الفاضلية بالقاهرة[4] وغيرها من المكتبات. هذا إلىٰ جانب الخزائن النفيسة الملحقة بأكثر المساجد في مختلف أنحاء الدولة الإسلامية.

وإلىٰ جانب هذه المكتبات ألحق الخلفاء والأمراء وبعض الوزراء بقصورهم وبيوتهم مكتبات ضخمة، فقد كان للفتح بن خاقان (-٢٤٧ هـ) وزير المتوكل الخليفة العباسي مكتبة جامعة، وللمبشر بن فاتك (المتوفىٰ سنة ٤٨٠هـ) أحد أعيان أمراء مصر وعلمائها مكتبة قيمة في العلوم الرياضية والحكمية وغيرها... وكان للخليفة الناصر لدين الله (-٦٢٢هـ) مكتبة كبيرة جداً، كما كان للخليفة المستعصم

---

(١) نسبة إلىٰ الوزير نظام الملك الذي أنشأ كثيراً من المدارس فعرفت باسم (المدارس النظامية)، وكانت غاية في الكمال ووسائل التعليم والشيوخ، وقد كثرت هذه المدارس حتىٰ لم تخلُ مدينة أو قرية من مدرسة من هذه المدارس، ونظامية بغداد أول المدارس التي أنشأها نظام الملك علىٰ هذا الطراز وأهمها، وقد فتحت أبوابها سنة ٤٥٩ ــ انظر: تاريخ التربية الإسلامية ج٤ ص١١٦ و١١٩. ولكن المدارس والكتاتيب في الإسلام قديمة جداً تعود إلىٰ صدر الإسلام، انظر: أصول الحديث ص١٤٣.

(٢) انظر تاريخ التربية الإسلامية ج٤ ص١٤٣.

(٣) ذكر الأستاذ محمد كرد علي كثيراً من مدارس دمشق في كتبه «خطط الشام». وقارن بتاريخ التربية الإسلامية ص١٢١ــ١٢٣ ج٤. فقد كان في دمشق نحو ثلاثين مدرسة في القرن الخامس من الهجرة يدرس في تلك المدارس الأئمة والأعلام، ومن أشهر مدارسها دار الحديث النورية، والنورية الكبرىٰ، والصلاحية، والعادلية، والظاهرية وغيرها. وهذه المدارس إنما كانت للتعليم العالي، وأما الكتاتيب والمدارس الأولية فهذه أكثر من أن تُحصىٰ.

(٤) نسبة إلىٰ القاضي الفاضل، وكان في مصر مدارس كثيرة جداً كالمدرسة الكاملية والصالحية والصاحبية وغيرها، وقد ذكرها المقريزي في خططه. هذا وقد اشتهرت عدة مدارس في مدينة القدس، وفي حلب وحماه وحمص وبعلبك وغيرها. انظر: دراسات في الحضارة الإسلامية ص١٢٠ و١٢١.

بالله (-٦٥٦هـ) مكتبة ضخمة في داره فيها نفائس الكتب في مختلف العلوم[١].

ولم تكن المكتبات في مشرق الدولة الإسلامية ومغربها مقصورة علىٰ أُولي الأمر من الخلفاء والأمراء والوزراء، بل اهتم العلماء وطلاب العلم بالكتب وبتأسيس المكتبات اهتماماً منقطع النظير، وقد وقف كثير من العلماء كتبهم علىٰ طلاب العلم، حتىٰ إن الإمام الحافظ أبا حاتم محمد بن حبان البستي (-٣٥٤هـ) وضع مؤلفاته الكثيرة في دار خاصة في بلدة (بست) وجعلها وقفاً لأهل العلم[٢].

ولم يقتصر النشاط العلمي واقتناء الكتب وإنشاء المكتبات علىٰ الخلفاء والأمراء والوزراء والعلماء وطلاب العلم[٣]، بل تعداهم إلىٰ غيرهم، إذ كانت حيازة نسخة من مؤلف بخط مصنفه أو نسخة من كتابٍ نادرٍ مجالاً كبيراً للتفاخر والاعتزاز.

ليس غريباً أن تزداد عناية الأمة بالكتب والمكتبات في المجتمع الإسلامي، الذي تمثل الإسلام وعرف قدر العلم ومكانته، فهيأ له وسائله وأخذ بأيدي أهله إلىٰ أعلىٰ الدرجات، وليس عجباً أن يسارع المسلمون إلىٰ المكتبات، وحوانيت الوراقين، ومؤسسات التعليم مادام الإسلام قد فَتَحَ أبواب العلم أمام المسلمين جميعاً، وحثَّ

---

(١) انظر: دراسات في الحضارة الإسلامية ج٤ ص١٩٤ وما بعدها.

(٢) انظر ترجمة ابن حبان في تذكرة الحفاظ ص١٢٥ ج٣، وفي طبقات السبكي ١٤١ ج٢. وانظر بحثنا (ابن حبان) في الدليل الببليوجرافي للقيم الثقافية العربية ص١١٧، مطبوعات مركز تبادل القيم الثقافية بالقاهرة سنة ١٩٦٥م.

(٣) وكانت كتب العلماء وطلاب العلماء عزيزة عليهم يحرصون عليها حرصهم علىٰ أرواحهم. وكانوا لا يخرجونها من أيديهم إلا إذا دعت الضرورات الملحة إلىٰ ذلك، وإن شعر المؤدب أبي الحسن علي ابن أحمد الفالي يؤكد هذه الحقيقة، فقد اشترىٰ المرتضىٰ من الفالي كتاب الحميرة بستين ديناراً، فإذا عليها للفالي هذه الأبيات:

أنست بها عشرين حولاً وبعتها ... لقد طال وجدي بعدها وحنيني

وما كان ظني أنني سأبيعها ... ولو خلدتني في السجون ديوني

ولكن لضعفٍ وافتقارٍ وصبيةٍ ... صغارٍ عليهم تستهل شؤوني

وقد تُخرج الحاجات يا أمَّ مالك ... كرائمَ من ربٍ بهنَّ ضنينِ

سير أعلام النبلاء جـ١١ قسم٢ ص١٥٩ ـ ١٦٠ ومعجم البلدان (فاله).

علىٰ التعلّم، وجعل العلم أساساً في رفع الدرجات، وإن كان كل ذلك لما يدهش له الباحثون من غير المسلمين، لأنهم لم يقفوا في التاريخ علىٰ أمة أمدت الحضارة الإنسانية بالتراث الفكري كأُمة الإسلام.

ولا بد لنا من أن نشير هنا إلىٰ أن هذا النشاط العلمي لم يقتصر علىٰ الرجال، بل شمل النساء، وكثرت المتعلمات والمتخصصات، حتىٰ إنه أجري إحصاء في أحياء قرطبة التي تبلغ واحداً وعشرين حيّاً أيام ازدهار الخلافة فوُجد أن (١٧٠) مائة وسبعين امرأة يجدن الخط الكوفي يكتبن به المصاحف. وقد كان لعائشة القرطبية (-٤٠٠هـ) إحدىٰ كاتبات المصاحف المشهورات خزانة كتب كبيرة[1]. يوم كانت المرأة في أوربا ترزح تحت نير الجهل والعبودية، وتعيش في غياهب الظلم والظلام والحرمان.

تلك لمحة سريعة في أرقى المؤسسات العلمية التي كانت في البلاد الإسلامية، تؤكد أن المسلمين قد أمدوا الحضارة الإنسانية في الجانب العلمي بما لم يسبق لأمة من الأمم أن فعلت مثله، وساهموا في تقدم العلوم وازدهار الحضارة مساهمة فعالة في جميع ميادينها، وإن مئات آلاف المخطوطات تشهد بذلك، وقد كان لهم الفضل الكبير في تعليم أوربا عن طريق الأندلس، وفي رفع المستوىٰ الثقافي في كثيرٍ من البلاد المجاورة للدولة الإسلامية آنذاك، كما كان لهم الفضل الكبير في حفظ تراث الأمم السابقة والزيادة عليه. ولكن كثيراً من الأمم لم تردَّ الجميل إلىٰ المسلمين، بل قابل بعضهم الحسنة بالسيئة، فما أن دبَّ الضعف في بعض أطراف الدولة الإسلامية حتىٰ انقضَّ أعداؤها عليها فعثوا في البلاد فساداً ونهباً وتخريباً، فحرقوا المكتبات والكتب، وأغرقوها وسرقوا بعضها[2]، ولم ينقذ منها في تلك المحن

(١) انظر: خزائن الكتب العربية في الخافقين ١٠١٤- ١٠٣٠ ج٣.

(٢) انظر: اكتساح المغول مكتبات ما بين النهرين والعراق وسوريا وتركستان والهند وبغداد وسمرقند، وغيرها. وحريق خزائن الكتب بالقاهرة، وفواجع مكتبات الأندلس في كتاب «خزائن الكتب العربية في الخافقين» (ص١٠١٤ ــ ١٠٣٠ ج٣).

والخطوب إلا القليل، وإذا قيس هذا القليل بما عند الأمم الأخرىٰ بدا أضعاف أضعاف ما في خزائنها. ومع كل ذلك فقد بقيت لنا ثروة عليمة ضخمة من المخطوطات الإسلامية، تقصُّ علىٰ مرِّ الزمان ما كان عليه المسلمون من التقدم العلمي والنضج الفكري، وإن جُلَّ المكتبات العالمية لتزخر بالمؤلفات الإسلامية الكثيرة، وتعتز بها وتسعىٰ إلىٰ نشرها.

وقد آن لنا أن نتعرّف إلىٰ أشهر المكتبات في العصر الحاضر.

## خامساً ـ أشهر المكتبات في العالم في العصر الحديث:

نرىٰ من المناسب أن نتناول هذه المكتبات بالعرض الموجز علىٰ مرحلتين، فنتناول أولاً أشهر المكتبات القائمة في العصر الحاضر في البلاد العربية والإسلامية، ثم نذكر أشهر المكتبات التي تضم المخطوطات العربية في أوربا وأمريكا.

### أ ـ أشهر المكتبات في العالم العربي والإسلامي في العصر الحاضر:

نذكر فيما يلي الدول مرتبة علىٰ حروف الهجاء ونذكر لكل دولة أشهر مكتباتها، ونكتفي بذكر دور الكتب العامة، من غير أن نتعرض لذكر مكتبات القصور والوزارات والمؤسسات والمجامع العلمية والمكتبات الخاصة وغير ذلك حتىٰ لا يطول البحث.

#### ١ ـ الأردن:

١ ـ دار الكتب الأردنية في عمان[1].

هذا إلىٰ جانب المكتبات الأخرىٰ في بقية مدن شرقي الأردن كمدينة إربد ومعان وغيرها.

---

(١) أسست سنة ١٣٥٧هـ ـ ١٩٣٨م.

**٢ ـ الإمارات العربية المتحدة:**

١ ـ المكتبة الوطنية في أبوظبي، وهي مكتبة جامعة فيها ما يزيد علىٰ مليون عنوان سوىٰ المخطوطات والمصورات. والمجمع الثقافي سنتحدث عنه في الفقرة السابعة (مراكز حديثة لحفظ التراث وإحيائه ونشره).

٢ ـ مكتبة جامعة الإمارات العربية المتحدة في مدينة العين وفيها نحو نصف مليون عنوان إلىٰ جانب بعض المخطوطات والمصورات.

٣ ـ مكتبة الشارقة الوطنية: مكتبة جامعة علىٰ مدخل المدينة الجامعية بالشارقة فيها ما يزيد علىٰ مليون عنوان.

٤ ـ مكتبة المنتدىٰ الإسلامي وفيها نحو عشرة آلاف عنوان.

٥ ـ مكتبة دبي الوطنية.

هذا إلىٰ جانب المكتبات الجامعية في الجامعات الحديثة في مختلف إمارات دولة الإمارات العربية المتحدة.

**٣ ـ البحرين:**

١ ـ المكتبة العامة.

٢ ـ مكتبة جامعة البحرين.

**٤ ـ تونس:**

١ ـ مكتبة الجامع الكبير في القيروان[1].

---

(١) الجامع الكبير في القيروان من أكبر الجوامع في العالم الإسلامي، وهو أكبر من الجامع الأزهر، أنشأه المسلمون الأوائل الذين حرروا شمال أفريقيا، وزاد عليه من جاء بعدهم ثم وسعه وأتم بناءه المعز بن باديس بن منصور في عهده الذي استمر من سنة (٤٠٦ ـ ٤٥٤هـ)، وقد ألحقت بهذا الجامع مكتبة ضخمة جارت وضاهت مكتبات بغداد وقرطبة. واستمرت هذه المكتبة خلال هذه العصور واعتراها ما اعترىٰ غيرها من الإهمال والضياع والسرقة، ثم عنيت الحكومة التونسية بها سنة ١٩٤٠م.

٢ ـ مكتبة جامع الزيتونة في تونس[١].

٣ ـ المكتبة العبدلية، والمكتبة الصادقية[٢].

٤ ـ المكتبة العمومية (المركزية) في تونس.

**٥ ـ الجزائر:**

١ ـ المكتبة العربية بجامع الباي في مدينة بون.

٢ ـ مكتبة مدينة بوجي.

٣ ـ المكتبة البادیسية في قسطنطينة[٣].

٤ ـ المكتبة (الوطنية) الأهلية في مدينة الجزائر.

٥ ـ مكتبة الجامع الكبير في مدينة الجزائر[٤].

**٦ ـ سورية:**

١ ـ دار الكتب الظاهرية بدمشق[٥].

---

(١) جامع الزيتونة أنشأه التابعي الجليل عبد الله بن الحبحاب سنة (١١٤هـ)، وقيل بند الأغلب هو الذي أسسه سنة ١٤٥هـ وصار هذا الجامع من أكبر المعاهد العلمية في العالم الإسلامي، يضاهي الجامع الأزهر في ذروة ازدهاره في نشاطه العلمي والرحلة إليه، وقد ألحقت بجامع الزيتونة مكتبة كبيرة سنة (٧٩٧هـ). (انظر خزائن الكتب العربية في الخافقين ص٢١٨ ج١).

(٢) العبدلية نسبة إلىٰ أبي عبد الله محمد بن الحسن بن محمد المسعود الذي أسسها في أوائل القرن العاشر الهجري، وقد ألحقها بجامع الزيتونة، وكادت هذه المكتبة أن تندرس فجددها الباي محمد الصادق عاهل تونس (١٢٧٦ ـ ١٢٩٨هـ) (١٨٦٠ ـ ١٨٨٢م) فنسبت المكتبة إليه، وقد أمدها بنفائس الكتب.

(٣) نسبت هذه المكتبة إلىٰ الشيخ عبد الحميد بن باديس المتوفىٰ سنة (١٣٥٩ هـ ـ ١٩٤٠م) الذي خلف هذه المكتبة الضخمة.

(٤) وهناك مكتبات بالزوايا وضع لها المستشرق (رينه باسيه) فهرساً خاصاً.

(٥) دار الكتب الظاهرية نسبة إلىٰ الملك الظاهر بيبرس المتوفىٰ سنة (٦٧٦هـ). كانت مدينة دمشق حافلة بخزائن الكتب الكثيرة القيمة قبل أن تحل بالبلاد الشامية النكبة الكبرىٰ علىٰ يد السفاح الطاغية =



obeikandl.com

٢ ـ دار الكتب الوطنية في حلب[١].

٣ ـ دار مكتبات الأوقاف الإسلامية في حلب[٢].

هذا إلىٰ جانب بقية دور الكتب في أمهات المدن السورية. والمكتبات الملحقة بالجامعات السورية الكثيرة التي انتشرت في مختلف محافظاتها.

---

=

(تيمورلنك) سنة (٨٠٣هـ)، الذي نهب البلاد وسبىٰ النساء وساق الأولاد والرجال، مكبلين بالحبال، وحرق الدور والمساجد وبقيت دمشق تحترق ثلاثة أيام حتىٰ صارت أطلالاً بعد ازدهار وجمال، لم ينج من ذلك الاكتساح والطغيان الوحشي إلا من رحم ربك... وقد أقام هذا الطاغية مع جيشه في دمشق ثمانين يوماً.

وبعد تلك النكبة جُمع ما بقي من الكتب من مختلف خزائن دمشق في المكتبة الظاهرية إلىٰ جانب خزائنها القديمة، وقد توالت الأيدي علىٰ هذه الخزائن، ويعود الفضل الكبير إلىٰ العلامة الشيخ طاهر الجزائري (١٢٦٨ ـ ١٣٣٨هـ) في صيانتها والاهتمام بها وحفظها. (انظر خزائن الكتب العربية في الخافقين ١٢٨ ج١).

ومخطوطات دار الكتب الظاهرية من أكثر مخطوطات دور الكتب في العالم، ومن أنفسها، ففيها مخطوطات نادرة وقيمة، وقد بلغت عدة المجلدات المخطوطة فيها (١١٤٢٥) أحد عشر ألف مجلدة وأربعمائة وخمساً وعشرين مجلدة. تضم ما بين خمسين وستين ألف كتاب لأن فيها (مجاميع) كثيرة تتجاوز كتب بعضها العشرة، ومتوسط أكثرها (٤ـ٥) كتب في كل مجموع. وقد أكد لي هذا الدكتور عزة حسن مدير دار الكتب في صيف (١٣٩٢هـ ـ ١٩٧١م).

وقد طبع من فهارس مخطوطات دار الكتب الظاهرية: فهرس التاريخ وملحقاته (القسم الأول) وفهرس (علوم القرآن)، وفهرس (الشعر)، وفهرس (الفقه الشافعي)، وفهرس (الحديث)، وفهرس (الطب)، وفهرس (الهيئة والجغرافيا...) وفهرس (الفلسفة) هذه ثمانية فهارس، وستصدر قريباً فهارس (الفقه الحنفي) واللغة وعلومها) و(التاريخ) القسم الثاني.

(١) كان المجمع العلمي العربي في دمشق قد أسس فرعاً في حلب للمكتبتين الظاهرية والعادلية، وبقيت الحال كذلك حتىٰ سنة ١٣٥٦هـ ١٩٣٧م حيث أنشئت هذه الدار.

(٢) كانت لكثير من مساجد حلب خزائن عامرة بالكتب تسللت إليها يد الإتلاف والضياع والسرقة، أنقذت مديرية الأوقاف بحلب ما بقي منها وضمته جميعه في خزائن خاصة في الدار المذكورة.

## ٧ ـ السعودية (المملكة العربية السعودية):

١ ـ خزانة كتب الحرم المكي بمكة المكرمة.

٢ ـ مكتبة مكة المكرمة[١].

٣ ـ مكتبة الحرم النبوي بالمدينة المنورة[٢].

٤ ـ مكتبة عارف حكمت بالمدينة المنورة[٣].

٥ ـ المكتبة المحمودية بالمدينة المنورة[٤].

٦ ـ دار الكتب الوطنية في الرياض.

٧ ـ دور الكتب الكثيرة التابعة لإدارة الفتوىٰ، المنتشرة في أمهات المملكة العربية السعودية. ومن أشهر هذه المكتبات المكتبة السعودية في (دخنة) من الرياض.

٨ – مكتبات الجامعات والكليات والمعاهد في أمهات مدن المملكة العربية السعودية.

٩ ـ مكتبة الأديب ماجد كردي بمكة[٥].

---

(١) وهي في (القشّاشية) من مكة المكرمة، وقد بلغني أن هذه المكتبة أقيمت في موضع البيت الذي ولد فيه الرسول ﷺ.

(٢) ذكر السيد يوسف أسعد داغر في كتابه (فهارس المكتبة العربية في الخافقين ص٥٣) فهرساً لمكتبة السادة، وفهرساً لمكتبة رباط سيدنا عثمان، وفهرساً لمكتبة ساقلي، وإلىٰ جانب هذه المكتبات: المكتبة الحميدية أسسها السلطان عبد الحميد الأول، والمكتبة البساطية وغيرها من المكتبات.

(٣) هو شيخ الإسلام عارف حكمت بك كان عالماً فاضلاً وأديباً مجيداً. ولد سنة (١٢٠٠هـ) وتوفي سنة (١٢٧٥). كانت عنده مكتبة قيمة جامعة لمختلف العلوم حبسها علىٰ المدينة المنورة سنة (١٢٦٠هـ) ليستفيد منها العلماء وطلاب العلم، وفيها نحو عشر آلاف مجلدة، بينها نوادر الكتب المخطوطة وأنفسها. وللأستاذ عمر رضا كحالة كتاب (المختار من مخطوطات المدينة).

(٤) نسبة إلىٰ السلطان محمود الثاني العثماني (١٢٢٣ ـ ١٢٥٥هـ).

(٥) هذه المكتبة زاخرة بالمؤلفات الكثيرة، وقفها الأستاذ الكردي لفائدة الأدباء والعلماء وطلبة العلم. انظر: (خزائن الكتب العربية في الخافقين ص١٤٨ ج١).

**٨ ـ السودان:**

١ ـ المكتبة العامة في أم درمان.

٢ ـ مكتبة الخرطوم.

٣ ـ خزائن الكتب الملحقة بالمساجد.

٤ ـ مكتبات الجامعات في السودان.

**٩ ـ العراق:**

١ ـ دار الكتب العمومية في بغداد[١].

٢ ـ المكتبة العامة في بغداد.

٣ ـ مكتبة الأوقاف العامة ببغداد ضمت بقايا خزائن مساجد بغداد.

٤ ـ مكتبة جامع النجف الأشرف. وهي المكتبة الحيدرية.

٥ ـ المكتبة الحسينية في النجف[٢].

٦ ـ مكتبة غازي في الموصل[٣].

٧ ـ مكتبات الجامعات والكليات والمعاهد المنتشرة في مدن العراق .

**١٠ ـ فلسطين:**

١ ـ مكتبة المسجد الأقصىٰ بالقدس[٤].

---

(١) أسسها الوزير العلامة داود باشا (١٧٧٤ ـ ١٨٥١م)، وقد افتتحت أبوابها سنة (١٣٠١هـ). ومركزها في مدرسة جامع الحيدرخانه.

(٢) وقفها الحاج علي محمد النجف آبادي قبل وفاته سنة (١٣٣٢هـ) علىٰ طلبة العلم. انظر خزائن الكتب العربية في الخافقين ص١١٦ ج١.

(٣) كانت في الموصل مكتبات قديمة جامعة لأمهات الكتب ونفائسها، ولكن هذه المكتبات نكبت علىٰ يد الطغاة السفاحين أمثال هولاكو وتيمورلنك كما نكبت مكتبات بغداد ودمشق وحلب، وما بقي من تلك المكتبات جمع في مكتبات مساجدها ومدارسها. ثم أنشأ الملك فيصل الأول ملك العراق هذه المكتبة باسم ابنه وولي عهده غازي الأول.

(٤) نكتب هذا البحث وأولىٰ القبلتين وثالث الحرمين تحت وطأة الغزو الصهيوني يشهد مع ما تشهده =

٢ ـ المكتبة الخالدية بالقدس[١].

٣ ـ مكتبات الجامعات وأشهرها جامعة القدس وبيروت.

**١١ ـ قطر:**

١ ـ مكتبة مركز السيرة والسنة الملحق بجامعة قطر.

٢ ـ مكتبة جامعة قطر.

**١٢ ـ الكويت:**

١ ـ المكتبة العامة في الكويت العاصمة.

٢ ـ مكتبات جامعة الكويت المتعددة.

٣ ـ مكتبة موسوعة الفقه الإسلامي الملحقة بوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية.

**١٣ ـ لبنان:**

١ ـ المكتبة الوطنية في بيروت.

٢ ـ مكتبة الجامع الكبير المنصوري بطرابلس[٢].

٣ ـ مكتبة الجامع الكبير في صيدا.

٤ ـ مكتبات كليات الشريعة والدعوة وكلية الإمام الأوزاعي ومعاهد القرآن

---

=

بقية فلسطين المحتلة مجازر دامية، وانتهاكاً للحرمات يندىٰ لها جبين الإنسانية، وإن الأمة العربية والشعوب الإسلامية تعقد الآمال الجسام علىٰ شبابها المؤمن من أجل رد العدوان، وتحرير الديار المغتصبة، وإعادة الحق إلىٰ نصابه، وتلقين العدو درساً لن ينساه أبد الدهر، وقد لاحت بوارق الآمال في ميادين الوغىٰ تنذر بأن ذلك اليوم قريب إن شاء الله.

كان في المسجد الأقصىٰ منذ قرون عديدة خزانة كتب قيمة كادت تضيع معظم محتوياتها، فسارع المجلس الشرعي الإسلامي الأعلىٰ في القدس إلىٰ إنشاء دار الكتب في القدس سنة (١٣٤١هـ) ـ فكانت هذه التي ذكرناها ـ وأشرف علىٰ رعايتها.

(١) أسستها أسرة الخالدي نسبة إلىٰ جدها الأعلىٰ خالد بن الوليد رضي الله عنه سنة ١٣١٨هـ ـ ١٩٠٠م.

(٢) تكونت هذه المكتبة من وقف عدة مكتبات خاصة علىٰ جامع المنصوري.

وعلومه هذا إلىٰ جانب مكتبة الجامعة اللبنانية وغيرها من الجامعات.

**١٤ ـ ليبيا:**

١ ـ المكتبة الوطنية بطرابلس.

٢ ـ مكتبات الأوقاف، والمكتبات الملحقة بالجامعات الليبية.

**١٥ ـ مصر :**

١ ـ دار الكتب المصرية بالقاهرة[١].

٢ ـ مكتبة الأزهر . وهي من أشهر مكتبات العالم الإسلامي بكثرة كتبها ومخطوطاتها النادرة.

٣ ـ المكتبة العامة لبلدية الإسكندرية.

٤ ـ مكتبات أمهات المدن المصرية الكثيرة. كمكتبة سوهاج ودمياط وغيرهما.

٥ ـ مكتبات الجامعات المصرية في القاهرة وعين شمس والإسكندرية، وفروعها في أقاليم مصر الكثيرة.

**١٦ ـ المغرب (المملكة المغربية):**

١ ـ المكتبة العامة في الرباط[٢].

٢ ـ مكتبة جامع القرويين بمدينة فاس.

---

(١) تُعَدُّ دارُ الكتب المصرية من أكبر المكتبات في عصرنا الحاضر، أنشئت سنة (١٢٨٧هـ ـ ١٨٧٠م) وأهدي إلىٰ المكتبة عدة خزائن ضخمة لأكابر العلماء كالخزانة التيمورية، ولا تزال هذه المكتبة في تقدم وازدهار حتىٰ صار مجموع ما فيها أكثر من مليون مجلدة، وقد ألحق بها مطبعة تطبع أمهات الكتب، وكان لها الفضل الكبير في نشر عدد منها، وفي المكتبة متحف كبير ضم بعض نفائس المخطوطات العربية. إلىٰ جانب قسم المخطوطات الذي يضم آلاف المجلدات القيمة.

(٢) في الرباط خزانة للمعهد العلمي للدراسات المغربية العليا فيها مخطوطات قيمة قد نشر المعهد بعضها. وللخزانة فهرس جيد.

٣ ـ خزانة الجامع الكبير في طنجة[١].

٤ ـ مكتبات أمهات المدن المغربية كفاس، وسلا، ومكناس، ومراكش، وتازة، ووجده والدار البيضاء وغيرها.

٥ ـ مكتبات دار الحديث وجامعات المغرب الأقصىٰ.

**١٧ ـ اليمن:**

المكتبة العمومية في جامع صنعاء. فيها نفائس الكتب المخطوطة الكثيرة إلىٰ جانب المطبوع ولها فهرس جامع طبع في أواخر القرن الماضي.

**١٨ ـ إيران:**

١ ـ مكتبات طهران[٢].

٢ ـ مكتبات أصفهان.

٣ ـ مكتبات تبريز.

٤ ـ مكتبات زنجان.

٥ ـ مكتبات أردبيل.

٦ ـ مكتبات أمهات المدن في إيران[٣].

---

(١) نشر لها فهرس. انظر فهارس المكتبة العربية لأسعد داغر.

(٢) إيران أو بلاد فارس كانت إقليماً من أقاليم الدولة الإسلامية، ثم تعددت فيها الإمارات حين ضعفت الدولة العباسية، وقد تخرج منها كثير من العلماء وكان فيها مكتبات عظيمة، انتقل معظم ما فيها إلىٰ مكتبات إيران... أشهر مكتبات طهران الخزانة الشاهانية فيها نحو خمسة آلاف مخطوطة، والخزانة الناصرية فيها مخطوطات نادرة، وخزانة الحاج حسين آغا الملقب بملك التجار، وخزانته معروفة باسم خزانة ملك التجار، وغيرها من المكتبات. انظر فهارس معهد إحياء المخطوطات ومقدمة بروكلمان وخزائن الكتب العربية في الخافقين ٣٣٢ ج١.

(٣) كمكتبات ساوه ومشهد، وفي خزانة مدينة مشهد كتب نادرة قديمة صورنا بعضها.



obeikandl.com

## ١٩ ـ تركية:

١ ـ مكتبة الجامعة في استنبول فيها سبعة عشر ألف مخطوط[١].

٢ ـ المكتبة العمومية في استنبول فيها (٥٢٠٠) خمسة آلاف ومئتا مجلد مخطوط.

٣ ـ مكتبة الفاتح ملحقة بمسجد فاتح في استنبول، فيها ستة آلاف مخطوط.

٤ ـ مكتبة نور عثمانية فيها خمسة آلاف مخطوط.

٥ ـ مكتبة السليمانية[٢].

٦ ـ مكتبة سراي طبقبو في استانبول[٣].

٧ ـ مكتبات مدينة بروسه[٤].

٨ ـ مكتبة علي أميري فيها نحو عشرين ألف مخطوط[٥].

---

(١) في هذه المكتبة نحو مائة وأربعين ألف مجلدة تضم بينها (٩٢٨٦) مخطوطة تركية، و(٦٣٧٤) مخطوطة عربية، و(١٣٧٩) مخطوطة فارسية مجموعها (١٧٠٣٩) مخطوط وقد كان في استنبول (٤٢) اثنتان وأربعون مكتبة، لكل مكتبة فهرس خاص بها يشمل المخطوط والمطبوع. ثم ضم بعض المكتبات إلىٰ بعض.

(٢) ألحق بالمكتبة السليمانية عدد من المكتبات الموجودة في استنبول. مثل مكتبة عاشر أفندي، وقره جلبي ولا له لي، وشهيد علي، وسيرز، ومكتبة مصطفىٰ رئيس الكتاب، وداماد إبراهيم وداماد سليمانية، وترخان، وبغداد لي وهبي، وأسعد أفندي.

(٣) ألحق بخزانة طوبقبو سراي عدة مكتبات منها: مكتبة قفوش ومكتبة مدينة، وروان كشك، ومكتبة خزينة، وبغداد كشك، ومكتبة أحمد الثالث. انظر فهرس مصورات معهد إحياء المخطوطات العربية بجامعة الدول العربية.

(٤) مثل مكتبة خراججي زاده، وحسين جلبي، ومكتبة متحف بروسه.

(٥) وغير ذلك من المكتبات الكثيرة مثل مكتبة مراد ملا ملحق بها المكتبة الحميدية، ولا له لي إسماعيل، وشيخ مراد أفندي. ومكتبة ملت باستنبول ملحق بها مكتبة فيض الله، ومكتبة علي أميري التي ذكرناها، ورشيد أفندي، ومكتبة حكيم أوغلو علي باشا، ومكتبة جار الله ولي الدين. ومكتبة بشير آغا باستنبول وقد ألحق بها عدة مكتبات منها مكتبة خسروباشا، ومكتبة أسميخان سلطان. ومن المكتبات أيضاً كوبريلي باستنبول، ومكتبة سليم آغا وعاطف أفندي، هذا إلىٰ جانب مكتبات بعض المساجد الكبرىٰ كمكتبة مسجد آيا صوفيا. كما أنه توجد مكتبة كبيرة لمتحف الأوقاف باستنبول.
=

٢٠ ـ الهند:

١ ـ مكتبة الجمعية الآسيوية في كلكتا.

٢ ـ خزانة كتب جامعة كلكتا.

٣ ـ مكتبة بوهار في كلكتا.

٤ ـ خزانة المولىٰ فيروز في بومباي.

٥ ـ المكتبة العمومية في بانكيبور. فهرس كتبها العربية في أربع مجلدات.

٦ ـ مكتبة حكومة الهند الشرقية في مدراس.

٧ ـ دار الكتب الآصفية في حيدر آباد[1].

٨ ـ مكتبة دار العلوم ندوة العلماء وغيرها:

في مكتبة دار العلوم ندوة العلماء بلكنهو ـ من ولايات الهند الشمالية ـ خمسة آلاف مخطوطة[2].

---

=

استخلصنا ذلك من فهرس مصورات معهد إحياء المخطوطات العربية وقارن بخزائن الكتب العربية في الخافقين ص٢٥٣ ـ ٢٥٦ ج١.

(١) هذه الدار من أجمع دور الكتب في العالم لنفائس المخطوطات، وفهرسها المطبوع في أربع مجلدات يؤكد ذلك، ولابد لنا من أن نشير إلىٰ ما قام به بعض رجالات الهند الأفاضل وبعض علمائها بتأسيس دائرة المعارف العثمانية في حيدر آباد لإحياء الكتب العربية القديمة، وذلك منذ نحو خمس وسبعين سنة، وقد كان لهذا المجمع العلمي الفضل الكبير في نشر أمهات الكتب الإسلامية في مختلف علوم الإسلام، وخاصة الحديث وعلومه. وجدير بالذكر أن فضيلة السيد هاشم الندوي كان قد وضع فهرساً للمخطوطات العربية في الهند بتكليف من دائرة المعارف، ذكر فيه أهم المخطوطات في البلاد الهندية سماه «تذكرة النوادر».

(٢) منها ألفان بالعربية في مختلف علوم العربية والعلوم الإسلامية ـ كما أخبرني أمين المكتبة في شتاء عام (١٤٠١ هـ ـ ١٩٨١م) في ندوة العلماء آنذاك.

وفي مكتبة جامعة (ديوبند) (١٠٠٧) مخطوطة بالعربية والفارسية. انظر فهرس دار العلوم ديوبند طبعة ١٣٩٣هـ.

وفي مكتبة (رضا) في رامبو (رامفور) ما يزيد علىٰ عشرة آلاف مخطوطة، فقد بلغت المخطوطات كما =

٩ ـ المكتبات الكثيرة الملحقة بالمساجد في كثير من مدن الهند.

**ب ـ أشهر المكتبات التي تضم مخطوطات عربية في أوربا وأمريكا:**

تضم مكتبات أوربا وأمريكا نحو مائة ألف مخطوط عربي علىٰ أقل تقدير، هذا سوىٰ ما في مكتبات المستشرقين، وأساتذة الجامعات وما في أيدي الناس ممن لهم عناية بالمخطوطات العربية والآثار الشرقية. منها نحو سبعين ألف مخطوط في أوربا، وأكثر من عشرين ألف مخطوطة عربية في خزائن الكتب الأمريكية في الولايات المتحدة[1].

---

=

في آخر الجزء الرابع من فهرس المكتبة (٣٦٥٤) ثلاثة آلاف وستمائة وأربعاً وخمسين مخطوطة، وقد بدئ بطبع فهرس المكتبة سنة (١٩٧١م) وصدر منه سبعة أجزاء للمخطوطات العربية ولما ينته بعد، هذا إلىٰ جانب المخطوطات الإسلامية بالأردية والفارسية، وهي كثيرة.

وفي مدينة (بتنة) مكتبة (خدابخش) ـ أحد الأثرياء المحبين للعلم ـ ثلاثة آلاف وثمانمائة وعشرون (٣٨٢٠) مخطوطة بالعربية في العقائد والتفسير والحديث والعربية وسائر علوم الإسلام. انظر (مفتاح الكنوز الخفية) فهرس المخطوطات العربية لهذه المكتبة، وهو في ثلاثة أجزاء كبيرة. وفي هذه المكتبة (٤٠٨٩) أربعة آلاف وتسع وثمانون مخطوطة بالفارسية. انظر (مرآة العلوم) فهرس المخطوطات الفارسية، وهو في ثلاث مجلدات. هذا سوىٰ ألف مخطوطة باللغة الأردية، ولها فهرس مطبوع في مجلد كبير.

(١) يعود اهتمام الفرنجة بالمؤلفات العربية إلىٰ القرن العاشر الميلادي، فجمعوا ما ألفه العرب في الطب والفلسفة والرياضيات والطبيعيات والكيمياء، والأدب واللغة وغيرها، وترجموا بعضه إلىٰ لغاتهم، وازداد اهتمامهم بالمؤلفات العربية إثر احتكاكهم بالمسلمين أثناء الحروب الصليبية (١٠٩٦ ـ ١٢٩١ م) فاقتنوا كثيراً منها ونقلوه إلىٰ بلادهم حتىٰ (إن لويس التاسع ملك فرنسا) (١٢٢٦ ـ ١٢٧٠م) لما عاد من الحروب الصليبية نقل معه من مدينة دمياط مخطوطات عربية وقبطية زيّن بها خزائن قصره، واحتذىٰ حذوه كثيرون من أمراء الفرنسيس والأغنياء الذين رافقوا الملك في زيارته الأماكن المقدسة. انظر خزائن الكتب العربية في الخافقين ص٥٧٠ ج٢.

وقد كان للأندلس الفضل الكبير في نقل العلوم إلىٰ أوربا، حتىٰ إن بعض الأوربيين طلبوا العلم في جامعات الأندلس، ومن أشهر هؤلاء البابا سلفستر الثاني (٩٩٩ ـ ١٠٠٣م) الذي قصد الأندلس لطلب العلم عندما كان راهباً باسم (جربرت) وتخرج من معاهد أشبيلية وقرطبة، ولما عاد إلىٰ روما

=

وجُلّ المخطوطات العربية في أوربا محفوظة في مكتبات إنكلترا، وفرنسا، وألمانيا، وهولندا، وروسيا، وأسبانيا، وإيطاليا، والنمسا، والسويد، والدانمرك.

## ١ ـ إنكلترا:

مكتبات لندن ، واكسفورد وكمبردج[1].

---

=

فاق زملاءه وأقرانه بما كان قد استفاده من الأندلس، ولما أسند إليه كرسي البابوية أمر بإنشاء مدرستين عربيتين: الأولىٰ في إيطالية مقر عمله، والثانية في ريمس في فرنسا وطنه.

وشجع البابوات بعد ذلك تعلم العربية، وأسست بعض المعاهد في بلادهم لتعليمهم، وأقبل علىٰ تعلمها الرهبان وغيرهم، واعتبر كثير من العلماء والأدباء تعلم العربية من دواعي الافتخار. (خزائن الكتب العربية في الخافقين ص٥٧٨ج٢ عن كتاب غرائب الغرب للأستاذ محمد كرد علي ص٢٤٢ ـ ٢٤٣ ج١).

وشاعت اللغة العربية في (القرون الوسطىٰ) ـ عصر الظلام والظلم في أوربا ـ بين علماء أوربا لكثرة المتكلمين بها، ولمنزلة مؤلفات أكابر علماء الإسلام كابن رشد وابن سينا والفارابي والرازي، وترجمت كتب كثيرة إلىٰ اللغة اللاتينية، وقد تأسست في طليطلة كلية لترجمة الكتب العربية إلىٰ اللاتينية، ولم يقتصر ذلك علىٰ الأندلس، بل تأسست في إيطاليا في القرن الحادي عشر الميلادي جامعة ساليرنو، وجامعة باليرمو ومونبيليه، وتلتها جامعات باريس وبولونيا واكسفورد وغيرها، وعنيت جميع هذه الجامعات بتدريس العلوم العربية، فأثارت في الغرب ثورة فكرية جديدة أنارت لأوربا سبيل العلم والمعرفة والرقي ولما كانت المؤلفات العربية تضم كنوز العلم والمعرفة سعىٰ رجال الكنيسة إلىٰ اقتناء ما يستطيعون وضمه إلىٰ مكتبة الفاتيكان في روما فجمعوا مؤلفات كثيرة (انظر خزائن الكتب العربية في الخافقين ص٥٧٢ ج٢ وما بعدها). كما سعىٰ غيرهم إلىٰ جمع نفائس المخطوطات العربية. وسيتضح لنا هذا في كلامنا عن مكتبات أوربا وأمريكا.

(١) في لندن دار الكتب البريطانية، والمتحف البريطاني، ومكتبة الديوان الهندي ومكتبة الجمعية الملكية الآسيوية، وهي من أنشط الجمعيات الاستشراقية. ومكتبة جامعة اكسفورد، والمكتبات الملحقة بها، ومكتبة ايدنبرغ في اسكتلنده ومكتبة جامعة غلاسكو. ومكتبة كلية الثالثوث في دوبلين، ومكتبة ريلاندس في مانشستر. انظر فهارس المكتبة العربية في الخافقين، وقارن بمقدمة بروكلمان. ويعود اهتمام انكلترا بالمخطوطات العربية إلىٰ العصور الوسطىٰ، وكانت ترسل الوفود والمندوبين إلىٰ البلاد العربية والإسلامية لاقتناء المخطوطات منها. انظر خزائن الكتب العربية في الخافقين ص٥٨٩ ج٢.

## ٢ ـ فرنسا:

المكتبة الأهلية بباريس[١].

## ٣ ـ إيطاليا:

مكتبة الفاتكان في روما، ومكتبات فلورنسا والبندقية وغيرها[٢].

## ٤ ـ إسبانيا (الأندلس):

١ ـ مكتبة دير الأسكوريال في مدريد[٣].

---

(١) في دار الكتب الأهلية بباريس (١٢٥) ألف مخطوط منها نحو (٢٥) خمسة وعشرين ألف مخطوطة شرقية معظمها عربي. (انظر ص٩٠ من كتاب فهارس المكتبة العربية في الخافقين).
ويعود اهتمام فرنسا بالمخطوطات العربية إلىٰ القرن الثاني عشر الميلادي كما أسلفنا، وقد أوفدوا بعثات وإرساليات لاختيار المخطوطات من مساجد ومدارس وأديرة البلاد العربية.
وقد ضمت سجلات كلية الطب بباريس عام ١٣٩٥م اثنتي عشرة مجلدة اشتملت علىٰ فهارس مؤلفات خطية لأطباء العرب، وقد حرص لويس الحادي عشر ملك فرنسا (١٤٦١ ـ ١٤٨٣م) علىٰ أن تضم خزانة قصره كتب (الرازي) الطبية، فلم يجد إلا نسخة واحدة منها في مكتبة كلية الطب فاستعارها الملك بشرط أن يردها ففعل. (انظر خزائن الكتب العربي في الخافقين ص٥٨٥ج٢) وانظر بعثات المسؤولين الفرنسيين إلىٰ البلاد العربية وتفصيلها في ص٥٨٦ ج٢ وما بعدها.

(٢) ففي فلورنسا (المكتبة المادیشية)، وفي البندقية الخزانة الثانية، وفي ميلانو المكتبة الأمبروزبانية... وفهارس مكتبة الفاتيكان في أربع مجلدات ضخمة.
ويعود اهتمام الإيطاليين بالمخطوطات العربية إلىٰ القرن العاشر، فنقلوا الكتب العربية وأرسلوا البعثات لاقتنائها، وزود البابوات مكتبة الفاتيكان بأنفس المخطوطات، وقد امتلأ دهليز المكتبة الذي يبلغ طوله (٣٢٧متراً) بأقدم المخطوطات.
(انظر خزائن الكتب العربية في الخافقين ص٥٧٦ ـ ٥٨٢ج٢).

(٣) دير الأسكوريال علىٰ بعد خمسين كيلومتراً من مدريد، وهو دير فخم شيد سنة (١٥٦٧م)، وألحقت به دار كتب كبيرة تضم نفائس المخطوطات.
لقد شهدت الأندلس حضارة رائعة إبان الخلافة الإسلامية، ضاهت حضارة المشرق الإسلامي في جميع نواحي الحياة، فكانت غرناطة وقرطبة وأشبيلية وغيرها من أمهات مدن الأندلس تحاكي أخواتها بغداد ودمشق والقاهرة وغيرها في نشاطها العلمي، وتقدمها وازدهارها، وكانت تلك المدن =

=

حاضرة الدنيا آنذاك، وإن الآثار الإسلامية العظيمة التي لا تزال ماثلة في فردوسنا المفقود لتنطق بما كان عليه المسلمون من تقدم وازدهار، وقد ذكرنا لمحة موجزة حول مكتبات الأندلس في عصر ازدهاره، ولكن ذلك المجد التليد وتلك الحضارة الرائعة خرجت من أيدي المسلمين في الأندلس حين دب الضعف في الخلافة واستقل الحكام في مقاطعاتهم في عصر ملوك الطوائف، وتفشىٰ النزاع بينهم حتىٰ جرّ بعضهم إلىٰ حروب وفتن لاتمت إلىٰ الدين بصلة، ومما يؤسف له أن بعض الحكام استعان بالأسبان علىٰ خصومة المسلمين، مما هيأ للأعداء فرصة الانقضاض علىٰ تلك الغنيمة الباردة، ففتكوا بأبناء المسلمين وسلبوا أموالهم واحتلوا ديارهم، وطردوا جلهم من تلك الديار العامرة، وحرقوا المكتبات وسرقوا بعض محتوياتها، وجمعوا ما بقي منها في خزائن خاصة بهم.

وقد جرأ ضعف المسلمين الأسبان فانقضوا علىٰ بعض مدن المغرب الأقصىٰ وحملوا منه كل ما وجدوه فيها حتىٰ كتب العلم وذلك سنة (٨١٧هـ الموافق ١٤١٤م)، وقام الأسبان بحملة لتنصير المسلمين سنة (٧٨٩هـ)، وكأن الكنيسة كانت تخشىٰ الفكر الإسلامي وتخشىٰ أن يطلع الأسبانيون علىٰ التراث الإسلامي، فأمر المطران خمينس ـ رأس الكنيسة ـ سنة (٩٠٥هـ) بجمع الكتب الإسلامية من أنحاء الأندلس وكدست في أكبر ساحات غرناطة واحتفل بإحراقها، وقدر عدد ما أحرق يومذاك بما لا يقل عن مائة ألف مخطوط (عن محاضرة الدكتور عبد الرحمن الحجي، وقارن بمقالة الأستاذ محمد عبد الله عنان بعنوان «أنقذوا تراث الأندلس» التي نشرت في مجلة «الرسالة» السنة الرابعة صفحة ١٦٨٥ وما بعدها) وقارن بكتاب خزائن الكتب العربي في الخافقين ص١٠٢٠ ج٣).

وقد ضمت مكتبة الاسكوريال بضعة آلاف مجلد سلمت من الحرق علىٰ يدي الأعداء المدمرين المخربين، ثم ضم إليها نحو أربعة آلاف مخطوط سنة (١٠٣٠هـ الموافق ١٦٢٠م) حين استولىٰ بعض قراصنة الأسبان علىٰ مركب للسلطان زيدان سلطان فاس كانت تلك المخطوطات في جملة الآثار النفيسة التي سلبوها من ذلك المركب. وبهذا بلغت المخطوطات العربية في مكتبة الأسكوريال نحو عشرة آلاف مخطوط.

وفي ٧ حزيران عام ١٦٧١م سقطت صاعقة علىٰ الدير أحرقت قسماً كبيراً من هذه المخطوطات، ولم يسلم منها سوىٰ ألفي مجلد لا تزال إلىٰ عصرنا في تلك الخزانة التاريخية. (انظر خزائن الكتب العربية في الخافقين ص٢٢٢ ـ ٢٢٣ ج١ ، وص٥٩٥ج٢ وص١٠٢٠ ج٣).

ولمخطوطات مكتبة الأسكوريال فهرس في ثلاث مجلدات ضخمة، إلا أنه لم يستوعب جميع المخطوطات، فلا تزال بعض مجلدات في الطب والتاريخ الطبيعي والرياضيات والقضاء بحاجة إلىٰ نشر فهرس فيها.

وإلىٰ جانب المخطوطات الكثيرة التي تضمها خزانة الأسكوريال، فإن فيها تحفاً كتابية ليس لها مثيل في خزائن الشرق والغرب، ففيها جلود نفيسة وقماطر مطرزة أو مطعمة بالميناء، كما أن بعض المخطوطات جلدت بأديم الأفاعي وهذا من أندر أنواع التجليد وأغربها (انظر خزائن الكتب

=

٢ ـ المكتبة الأهلية بمدريد.

٣ ـ مكتبة غونطا.

**٥ ـ ألمانيا:**

من أغنىٰ مكتبات أوربا بل أغناها بالمخطوطات العربية مكتبات ألمانيا فيها نحو خمسة عشر ألف مخطوط، وأغنىٰ مكتبات ألمانيا بالمخطوطات مكتبة برلين. فإن فهارس مخطوطاتها تقع في عشر مجلدات كبيرة سوىٰ الملاحق.

وإلىٰ جانب مكتبة برلين مكتبات أخرىٰ، فهناك مكتبة مدينة ليبزغ، ومكتبة هامبورغ، ومكتبة ميونيخ، ومكتبة الجمعية الشرقية الألمانية.

**٦ ـ روسيا:**

١ - مكتبات لينيغراد، فيها أربع مكتبات كبيرة[1].

٢ - خزانة المخطوطات في جامعة قازان بمدينة قازان بروسيا.

٣ - خزانة طاشقند في مدينة طاشقند التابعة لاتحاد جمهوريات السوفييت الاشتراكية[2] سابقاً.

٤ - خزائن الكتب القديمة في المدن الجنوبية والجنوبية الشرقية من الاتحاد السوفييتي.

---

=

العربية في الخافقين ص٥٩٧ جـ٢).

(١) انظر فهارس المكتبة العربية في الخافقين ص٩٧ ـ ٩٨.

(٢) انظر مقدمة بروكلمان. ولا يزال عدد كثير من المخطوطات في مكتبات الاتحاد السوفييتي مجهولاً، أولم تصلنا أخباره، ولاشك أنها مخطوطات كثيرة جداً لأن بعض جمهوريات الاتحاد السوفييتي كانت من أقاليم الدولة الإسلامية أيام ازدهارها. ومما يؤيد ما ذهبنا إليه من كثرة المخطوطات فيها أن مخطوطات (القرآن والإلهيات والحديث) في أكاديمية العلوم في جمهورية أوزبكستان السوفييتية سابقاً بلغت نحو سبعمائة كتاب. (انظر فهرس القرآن والإلهيات والحديث) لأكاديمية العلوم في جمهورية أوزربكستان المستقلة من رقم (٢٨٠١ ـ ٣٤٦٢) المطبوع في طاشقند سنة (١٩٥٧م).

**٧ ـ هولندا:**

١ ـ مكتبة أكاديمية ليدن أشهر مراكز الاستشراق في العالم.

٢ ـ الخزانة الملكية في أمستردام.

**٨ ـ النمسا:**

١ ـ مكتبة فينا.

٢ ـ مكتبة الأكاديمية الشرقية بفينا.

**٩ ـ السويد:**

١ ـ مكتبة جامعة أبسالا.

٢ ـ المكتبة الملكية في استوكهلم.

**١٠ ـ الدانمرك:**

خزانة كوبنهاجن[١].

**١١ ـ الولايات المتحدة الأمريكية:**

١ ـ مكتبة الكونكرس بواشنطن.

٢ ـ المكتبة العامة في نيويورك.

٣ ـ مكتبة جامعة برنستون أجمع مكتبة للمخطوطات العربية في الولايات المتحدة.

٤ ـ مكتبات الجامعات الكثيرة في أمريكا ومكتبات المؤسسات العلمية[٢].

---

(١) هذه أشهر مكتبات أوربا سوىٰ مكتبات رومانيا وتشيكوسلوفاكيا وبلجيكا وسويسرا.

(٢) المخطوطات العربية في الولايات المتحدة في خمسة مواطن:

١ ـ دور الكتب العامة.

٢ ـ دور كتب الجامعات والكليات.

٣ ـ دور كتب المتاحف والمعارض.

=



obeikandl.com

=

٤ ـ دور كتب المؤسسات والجمعيات.

٥ ـ دور الكتب الخاصة ومجاميع الأفراد.

توجد معظم المخطوطات العربية في ثمانين مكتبة من دور الكتب العامة في الولايات المتحدة:

ففي المكتبة العامة في نيويورك (٢٧٣) مخطوطة، وفي مكتبة موركان في نيويورك (٢٤) مخطوطة إسلامية نفيسة جداً.

وفي مكتبة الكونكرس في واشنطن (١٦٤٦) مخطوطة عربية وفارسية وتركية.

وفي المكتبة العامة في فيلادلفيا (١٥٣) مخطوطة.

وفي المكتبة العامة في كليفلند (١٢٧) مخطوطة.

وفي المكتبة العامة في بوسطن عدة مخطوطات.

وفي المكتبة العامة في دنفر في ولاية كلورادو عدة مخطوطات.

وفي مكتبة جامعة برنستن عشرة آلاف مخطوطة عربية سوىٰ التركية والفارسية فيها كتب نادرة كثيرة.

وفي مكتبة جامعة بابل في نيوهافن (٧٢٨) مخطوطة عربية، فيها مخطوطات نفيسة.

وفي مكتبة جامعة كولمبية في نيويورك أكثر من خمسمائة مخطوطة إسلامية في جملة هذه المخطوطات عشرة أجزاء من تاريخ ابن عساكر (ـ٥٧١هـ) نفيسة جداً.

وفي مكتبة الجامعة الكاثوليكية الأميركية في واشنطن نحو (٤٠) مخطوطة عربية.

وفي مكتبة مؤسسة هرتفرد نحو (١٢٠٠) ألف ومائتي مخطوطة عربية.

وفي مكتبة جامعة هرفرد مجموعة من المخطوطات العربية.

وفي مكتبة جامعة مشيكان نحو (١٢٠٠) مخطوطة.

وفي مكتبة جامعة بنسلفانيه مجموعة من المخطوطات.

وفي مكتبة كلية دروبي في فيلادلفية نحو (١٧٥) مخطوطة.

وفي مكتبة جامعة شيكاغو عدة مخطوطات وقطع مختلفة من أوراق البردي العربية.

(انظر المخطوطات العربية في دور الكتب الأميركية لكوركيس عواد ص٣٤).

وفي مكتبة معهد اللاهوت اليهودي الأميركي (٢٣) مخطوطة.

كما يوجد في مكتبة جامعة جونزهوبكنس في بلتيمور، وفي مكتبة جامعة سنسناتي وفي مكتبة جامعة كاليفورنيا، وفي مكتبة جامعة براون في بروفيدينس عدة مخطوطات.

كما يوجد في مكتبات المتحف والمعارض عدد كبير من المخطوطات.

هذا إلىٰ جانب المخطوطات الكثيرة التي تضمها دور كتب المؤسسات والجمعيات وهي تزيد علىٰ مائة مخطوطة، فيها نفائس المخطوطات في مختلف العلوم، وخاصة في الطب، كما هو واضح في مخطوطات مكتبة الجيش الطبية في كليفيلاند.

=

تلك لمحة سريعة في مكتبات أوربا وأمريكا أبرزت ما لنا من تراث قيم. وأوقفتنا علىٰ ما بذله أسلافنا في ميادين العلم والمعرفة. وما قاموا من أجل سعادة الإنسانية ورقيها، كل ذلك يهيب بنا أن نحرص علىٰ تلك الثروة العلمية بحفظها وتحقيقها ونشرها وإخراجها من عالم المخطوط إلىٰ عالم المطبوع ليفيد منها أهل العلم، وينعم بها العامة والخاصة.

**سادساً ـ المخطوطات العربية، ومعهد إحياء المخطوطات:**

رأينا في البحث السابق أن المكتبات العربية والأجنبية تغص بمئات الألوف من الكتب المخطوطة، التي لم يكتب لها الطبع والنشر بعد، ومن هذه المخطوطات ما هو بخط مؤلفيها، ومنها ما هو بخط غيرهم كطلابهم الذين كتبوا عنهم أو زملائهم، ومنها ما نسخ عن نسخة المؤلف، أو نسخة مقابلة علىٰ نسخة المؤلف قريبة من عصر المصنف، أو بعيدة منه، وغير ذلك. وجميع تلك الكتب المخطوطة تكوّن ثروة علمية عظيمة، ولكن هذه الثروة لابد لها من العناية والرعاية، والحفظ من جميع ما قد يعتريها، فيفسدها كالأرضة والسوس.. والرطوبة والعفن.. ومن العوادي التي تذهب بها كالحريق والغرق والسرقة وانتقام الأعداء الجهال. وغير ذلك.

لكل هذا اهتم المسؤولون في المكتبات بالكتب المخطوطة واعتنوا بها عناية فائقة، تعددت وسائلها وطرق حفظها والاستفادة منها.. وخير الوسائل الحديثة في حفظ المخطوطات أن تؤخذ عن الأصل المخطوط صور فوتوغرافية كبيرة وتجلد كالكتاب تماماً، وتوضع الصورة في متناول أهل العلم، بينما يحفظ الأصل المخطوط في خزانة المكتبة مخافة التلف أو الفقدان، وتلجأ بعض المكتبات إلىٰ تصوير المخطوطات علىٰ

---

=

(انظر المرجع السابق ص٣٩ وما بعدها).

هذا إلىٰ جانب المخطوطات الكثيرة في المكتبات الخاصة لأساتذة الجامعات والمستشرقين ومن له عناية بالمخطوطات العربية والآثار الشرقية (انظر المخطوطات العربية في دور الكتب الأمريكية (ص٥ ـ ٤٣).

أفلام دقيقة (ميكروفيلم) وتوضع هذه الأفلام في علب معدنية صغيرة، كل فلم في علبة تعنون العلبة باسم الكتاب المصور، ثم تكبر هذه الأفلام لطالبيها، وقد اتبعت هذه الطريقة بعض مكتبات المغرب الأقصىٰ والمكتبة الظاهرية بدمشق وغيرها من المكتبات العالمية، غير أنه لا تزال أكثر المكتبات في البلاد العربية والإسلامية بحاجة كبيرة إلىٰ مزيد من العناية بما لديها من المخطوطات.

وقد انتبه المسؤولون في البلاد العربية إلىٰ أهمية تراثنا المخطوط فأنشؤوا مؤسسة تابعة لجامعة الدول العربية باسم معهد إحياء المخطوطات، مهمتها حفظ هذا التراث من الضياع. ونقل صور عن المخطوطات التي خرجت من أيدينا إلىٰ البلاد الأجنبية، وحفظها في خزائن المعهد، ويقوم المعهد بين حين وآخر بإرسال مندوبين متخصصين إلىٰ بعض المكتبات الأجنبية التي تضم في خزائنها مخطوطات عربية، فتصور بعضها، ثم تحفظ الأفلام في خزائن المعهد، ومن ثم يستطيع المرء أن يطلع علىٰ ما يريد من تلك الأفلام، ويقرأ ما يناسبه منها بواسطة جهاز مكبر، كما يستطيع أن يحصل علىٰ صورة مكبرة عن بعضها، وما يحصل عليه يكون صورة مطابقة لنسخة الأصل المخطوط. وفي المعهد الخبراء والمتخصصون من الدول العربية وبين أيديهم الوسائل والأدوات الحديثة التي تساعدهم علىٰ أداء مهمتهم وتحقيق الغاية التي أنشئ من أجلها المعهد، ومركز معهد إحياء المخطوطات في مبنىٰ جامعة الدول العربية بالقاهرة، وقد أصدر فهرساً مطبوعاً لبعض المصورات المحفوظة في خزائنه.

وبهذا يستطيع البعيد عن القاهرة أن يرسل إلىٰ المسؤولين في المعهد اسم ورقم المصور الذي يريده مع تحويل بتكاليفه، لتصله نسخة مصورة في فترة مناسبة. ومع كل هذا فإن المعهد لا يزال بحاجة إلىٰ مزيد من الخبراء والعاملين، وإلىٰ مزيد من الاستقلال المالي البعيد عن الإجراءات المكتبية، المعهودة في بعض المؤسسات ليتمكن المعهد من أداء مهمته علىٰ أكمل وجه، وتقديم الخدمات العلمية الكثيرة لأهل العلم بما يناسب روح هذا العصر من الإتقان والسرعة.

وإلىٰ جانب هذا فإن معهد إحياء المخطوطات يصدر عدة نشرات دورية في السنة، يبين فيها بعض نشاطاته، ويطلع المهتمين بالمخطوطات خاصة وبالعلم عامة علىٰ ما يجد في عالم المخطوطات والمصورات، ويشير إلىٰ بعض الأعمال العلمية المتعلقة بتحقيق أو دراسة أو نشر بعض المخطوطات.

كما أنه يتبنىٰ بين حين وآخر تحقيق وإخراج بعض المخطوطات العربية.

**سابعاً ـ مراكز حديثة لحفظ التراث وإحيائه ونشره:**

**أولاً ـ جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية:**

كانت الرئاسة العامة للكليات والمعاهد العلمية تشرف علىٰ التعليم الديني في المملكة العربية السعودية وتضطلع بمهامه في المرحلة المتوسطة والثانوية والجامعية، بمعاهدها العلمية الكثيرة، المنتشرة في أنحاء المملكة العربية السعودية، وفي بعض الدول المجاورة لها، وعن طريق كليتي الشريعة واللغة العربية في الرياض، ثم صدر المرسوم الملكي سنة ١٣٩٤هـ الخاص بإنشاء جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ـ فكانت كليتا الشريعة واللغة العربية نواة هذه الجامعة الحديثة، فضمت عدة كليات ومؤسسات علمية إلىٰ الكليتين النواة، ككلية أصول الدين، وأسست فروع للجامعة في أبها وبريدة، وتوسعت الجامعة توسعاً أفقياً وعمودياً، فأنشأت الدراسات العليا في مختلف فروعها، وأحدثت مؤسسة خاصة باسم «عمادة شؤون المكتبات» تتحمل عبء إنشاء مكتبات الكليات وتزويدها وتزويد مكتبة الجامعة المركزية بما تحتاج إليه من مصادر ومراجع. وإلىٰ جانب هذه المهمة فقد اضطلعت بمهمة إنشاء قسم للمخطوطات العربية، واجتهدت في تزويده بكل ما يحتاج إليه من وسائل حديثة، فاقتنىٰ قسم المخطوطات مخطوطات كثيرة من مختلف البلاد العربية والإسلامية والأجنبية، واقتنىٰ مصورات كثيرة لما لم يستطع اقتناءه، ونما قسم المخطوطات، وضم النواحي الآتية:

١ ـ نسخ من كتب مخطوطة لمخطوطات نادرة.

٢ ـ مصورات.

٣ ـ ميكروفيلم بكميات كبيرة لكثير من المخطوطات الإسلامية في مختلف العلوم والفنون، حفظت بطريقة فنية حديثة. ولجميع ما سبق فهارس سهلة منظمة.

ويلحق بهذه الأقسام كل ما يتعلق بتصوير المخطوطات، وتكبير الأفلام، وطبعها، ويشرف على ذلك كله خبراء متخصصون بينهم من يختص بحسن حفظ المخطوطات وترميمها.

وقد كان لإنشاء الدراسات العليا في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية أثر كبير في دفع عجلة أعمال هذا القسم، وزيادة نشاطه، وتقديم خدمات علمية جليلة للعلماء والباحثين.

**ثانياً ـ جامعة الملك عبد العزيز بمكة المكرمة:**

تضم جامعة الملك عبد العزيز في مكة المكرمة عدة كليات للعلوم الإنسانية، ككلية الشريعة بأقسامها المختلفة، وكلية اللغة العربية، وكلية للعلوم العملية المختلفة إلى جانب كلية التربية ، وقد أنشئ **مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي** ملحقاً بكلية الشريعة في الجامعة سنة (١٣٩٦هـ ـ ١٩٧٦م)، وقد سنحت لي فرصة لزيارة هذا المركز في شتاء عام (١٣٩٩ هـ ـ ١٩٧٩م)، فهو في بناء ضخم مستقل يضم إدارة المركز وغرفاً للبحث العلمي، يعمل فيها أساتذة متفرغون للبحث أو التحقيق، من جامعة الملك عبد العزيز ومن غيرها من الجامعات العربية والإسلامية. وفي كل غرفة أهم المصادر والمراجع التي يحتاج إليها الباحث أو المحقق.

وقد ألحق بهذا البناء جناح من بناء آخر ضم عدة أقسام هي:

١ ـ قسم المكتبة التي تضم أمهات المصادر والمراجع في التراث الإسلامي، وضعت لخدمة الباحثين، وطلاب الدراسات العليا.

٢ ـ قسم المصورات، وفيه نحو عشرة آلاف مخطوط مصور في التراث الإسلامي.

٣ ـ قسم الميكروفيلم، وفيه آلاف الأفلام لمخطوطات كثيرة. ويقوم هذا القسم بفهرسة الأفلام وتصنيفها، وحفظها، وتسهيل إعارتها للباحثين والمحققين وطلاب الدراسات العليا.

وألحق بهذا القسم غرف القراءة، وفي كل غرفة عدة أجهزة مقرئة حديثة، سهلة الاستعمال، يستطيع الباحث أن يطلع علىٰ مضمون «الميكروفيلم» دون أية مشقة.

٤ ـ قسم لطبع المصورات، وسحب نسخ للأفلام.

٥ ـ قسم للتحميض والتكبير بمقاييس مختلفة .

هذا إلىٰ جانب ما يحتاج إليه كل قسم من وسائل حديثة لتسهيل مهمته، وتيسير أعماله، وأداء واجبه ويشرف علىٰ كل قسم من هذه الأقسام خبراء متخصصون.

٦ ـ وقد أشرتُ في مطلع هذا الموضوع إلىٰ الباحثين والمحققين في التراث الإسلامي الذين يجمعهم قسم خاص بهم، ويتفرغون فيه لأعمالهم العلمية، ويسعىٰ هذا القسم إلىٰ إعداد موسوعة إسلامية، وفيه من يقوم بدراسة أحوال الأقليات الإسلامية في العالم.

وتتلخص أهداف مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي بما يلي:

١ ـ جمع التراث الإسلامي المخطوط علىٰ «ميكرو فيلم».

٢ ـ تيسيره للباحثين كي يطلعوا عليه.

٣ ـ اختيار أهم المخطوطات في الحقول المختلفة، وتحقيقها ونشرها.

٤ ـ التعاون مع العاملين في تحقيق التراث في العالم الإسلامي بتبني إنتاجهم ونشره.

٥ ـ التعاون مع المراكز والمؤسسات المماثلة في نشر الموسوعات وتحقيق التراث.

٦ ـ إعداد الكفاءات الناشئة وتدريبها تدريباً يمكنها من تحمل المسؤولية، بإعداد دورات لهذا الغرض.

٧ ـ نشر البحوث العلمية الأصلية.

٨ ـ إتاحة الفرصة للأساتذة الذين يتفرغون للبحث العلمي أو التحقيق، من جامعة الملك عبد العزيز أو الجامعات الأخرىٰ.

٩ ـ اختيار الموضوعات التي تعالج مشكلات العصر، وطرحها للباحثين.

١٠ ـ دراسة أحوال الأقليات الإسلامية في العالم.

١١ ـ دراسة حال العالم الإسلامي دراسة علمية تقوم علىٰ الإحصاء[١].

ولمركز البحث العلمي والتراث الإسلامي مجلة باسمه صدر منها العدد الأول سنة ١٣٩٨هـ.

ويشرف علىٰ إدارة المركز (مجلس المركز)، ويتألف المجلس من رئيس المركز وهو عميد كلية الشريعة، ومدير المركز، ويتولىٰ الإشراف علىٰ تنفيذ السياسة التي يرسمها المجلس، ويتابع سير الأقسام، ويساعده نائب المدير في أعماله وينوب عنه في غيابه[٢].

**ثالثاً ـ جامعة الرياض:**

دأب قسم المخطوطات الملحق بالمكتبة المركزية في جامعة الرياض علىٰ اقتناء المخطوطات العربية في مختلف أنواع العلوم، وازداد نشاطه منذ ربع قرن، واقتنىٰ مجموعة كبيرة من المخطوطات المصورة في التراث الإسلامي، اختارها عن

---

(١) انظر مجلة مركز البحث العلمي والتراث الإسلامي ص٢٧٩ ــ ٢٨٠ العدد الأول.

(٢) وهناك إدارة مالية لسد حاجات المركز ونفقاته.

قد وافق المركز علىٰ تحقيق أربعة عشر كتاباً، وتحت الطبع عدة كتب هي:

| | |
|---|---|
| ١ ـ نظرات تحقيقية في لسان العرب | الأستاذ عبد السلام هارون. |
| ٢ ـ موسوعة الفقه النخعي | د. محمد رواس قلعجي. |
| ٣ ـ التاريخ لابن معين | تحقيق د. أحمد نور سيف. |
| ٤ ـ المساعد (شرح التسهيل) لابن عقيل | تحقيق د. محمد كامل بركات. |
| ٥ ـ مختصر في تفسير أبيات المعاني للمعري | تحقيق د. محسن غياض ود. مجاهد الصواف. |
| ٦ ـ الكوكب المنير للفتوحي والحنبلي | تحقيق د. محمد الزحيلي ود. نزيه حماد. |

عن مجلة «البحث العلمي والتراث الإسلامي» ص٢٨٣ ـ ٢٨٤ العدد الأول.

مخطوطات المكتبات العامة والخاصة في المملكة وخارجها، وعكف المتخصصون علىٰ تصنيفها وفهرستها ولا يزال النشاط مستمراً في هذا الميدان، إلىٰ جانب اقتناء «ميكرو فيلم» لآلاف المخطوطات. وفي هذا القسم جميع الأجهزة الحديثة التي تسهل الاستفادة من محتوياتها والانتفاع بها، وكان في نية المشرفين علىٰ هذا القسم التوسع في أعماله وإمداده بكل ما يحتاج إليه الباحثون وطلاب الدراسات العليا من تصوير وتحميض وطبع، ونسخ للميكرو فيلم، والأمل أن تكون تلك الرغبات قد تحققت، إذ لم تتح لي زيارة جامعة الرياض ومكتبتها بعد عام (١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م)، ولم أقف علىٰ آخر إحداثاتها ومشاريعها في هذا الميدان.

**رابعاً ـ المجمع الثقافي في أبو ظبي:**

منذ ربع قرن ضُم مركز الوثائق في أبو ظبي إلىٰ مبنىٰ المكتبة الوطنية، وأُنشئ في المجمع قسم لحفظ المخطوطات ومصوراتها، وقسم لتحقيق المخطوطات ضم بعض العلماء المتخصصين، ويتعاون المجمع الثقافي مع العلماء من مختلف أنحاء العالم لتحقيق المخطوطات ونشرها، كما يتعاون مع بعض المؤسسات المتخصصة في سبيل ذلك، وقد نشر المجمع الثقافي مصنفات ضخمة في التفسير والتاريخ والأدب، ومختلف العلوم الإسلامية ككتاب (التحرير والتنوير من التفسير) لابن عاشور، و(مسالك الأبصار في ممالك الأمصار) لابن فضل الله العمري، وغيرها من المصنفات. كما اصدر بعض المجموعات في أقراص حاسوبية مدمجة (سيدي).

**خامساً ـ مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث:**

أنشئ هذا المركز بدبي من دولة الإمارات العربية المتحدة، منذ نحو ربع قرن[1] وتنامت مكتبته، التي ضمت كثيراً من المطبوع، كما ضمت بعض المخطوطات التي تزيد علىٰ ألف، وضم كثيراً من مصورات المخطوطات ومن «الميكرو فيلم»، وقد يسر

(١) بالنسبة لهذه الطبعة العشرين من هذا الكتاب.

للعلماء وطلاب العلم سبل الاستفادة من هذه المكتبة. ويصدر المركز مجلة (آفاق).

**سادساً ـ دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث:**

تابعة لحكومة دبي ـ دولة الإمارات العربية المتحدة فيها مكتبة إسلامية جامعة تضم أمهات الكتب المطبوعة، وتصدر مجلة الأحمدية، مجلة دورية محكمة، كما تصدر بعض كتب لباحثيه وغيرهم بين حينٍ وآخر.

ولا بد من الإشارة إلىٰ أن بعض وزارات الثقافة والمؤسسات العلمية المكتبية وغيرها في بعض البلاد العربية والإسلامية قد ألحقت بمكتباتها أقساماً «للميكر فيلم» وللمخطوطات المصورة، وهذا دليل علىٰ اهتمام الأمة بتراثها علىٰ المستويات الرسمية وغير الرسمية، وإن إنشاء مراكز لحفظ التراث وإحيائه ونشره في مختلف البلاد له أهمية كبيرة، وأثر بعيد في توجيه الأجيال نحو البحث العلمي الجاد، والموضوعية العملية، بما يقفون عليه من جهود أسلافنا العظيمة في مختلف ميادين العلم وحقوله علىٰ مرِّ العصور، وبما يدركونه من سبق علمائنا إلىٰ بناء الحضارة الإنسانية والإسهام في إثرائها، والعمل علىٰ تقدمها علىٰ أسس علمية منهجية، وقيم أخلاقية خالدة، لا يشق لهم فيها غبار، ولا يدركهم غيرهم إلا ممن سار علىٰ نهجهم وتأسىٰ بهم.

فإلىٰ مزيد من الاعتناء بتراث أمتنا وحفظه وتحقيقه ونشره، لعلنا نستعيد مكانتنا العلمية الرفيعة، ونبني مجد أمتنا كما بنىٰ الآباء والأجداد، فيتمم الخلف ما قد بدأه السلف، وعيوننا متعلقة بهذا الرعيل الصاعد وآمالنا معقودة عليه.

**ثامناً ـ المكتبة ونظامها وفهارسها قديماً وحديثاً:**

**أ ـ المكتبة ونظامها[1]:**

كانت المكتبة في الإسلام نواة للجامعات والمعاهد العليا، تقوم بمهمة المعاهد

---

(١) للتوسع في هذا الموضوع راجع كتاب تاريخ التربية الإسلامية للدكتور أحمد شبلي ص١٤٧ ـ ١٧٨، وكتاب خزائن الكتب العربية في الخافقين، الجزء الثالث.

ودور العلم في العصر الحديث كما تقوم بدور المكتبة في عصرنا الحاضر، من حيث تسهيل مطالعة القراء فيها، ووضع أهم المؤلفات بين أيديهم، وتيسير سبل الاطلاع بالإعارة الداخلية والخارجية وما يلحق بذلك.

ولأهمية الدور العظيم الذي كانت تقوم به المكتبة الإسلامية في العصور الغابرة اهتم المسؤولون ببنائها، المعد لاستقبال أفواج القراء وطلاب العلم والعلماء، فشيدت أمهات المكتبات علىٰ طراز خاص يضم غرفاً واسعة متعددة تربط بينها أروقة فسيحة، وممرات عريضة، وكانت الكتب توضع علىٰ الرفوف المثبتة بجوار الجدران. وخصصت بعض الحجرات للمطالعة، وبعضها للنسخ والترجمة، وبعضها للحلقات العلمية والمناظرات، وقد أثثت جميع الغرف تأثيثاً جيداً مريحاً، وفرشت أرضها بالبسط والحصير، وكان للنوافذ والأبواب ستائر جميلة تدفع حر الشمس عن القراء، وعلىٰ مدخل المكتبة ستارة سميكة تمنع دخول الهواء البارد في الشتاء إلىٰ غرف المكتبة المختلفة، قال المقريزي: (إن دار الحكمة بالقاهرة لم تفتح أبوابها للجماهير إلا بعد أن فرشت وزخرفت وعلقت علىٰ جميع أبوابها وممراتها الستور، وأقيم قوام وخدام وفراشون وغيرهم رُسِموا بخدمتها)[1].

وقد كان النظام في جل المكتبات الإسلامية أن توزع الكتب علىٰ الحجرات حسب موضوعاتها، غرفة للعربية وعلومها، وغرفة للفقه، وأخرىٰ للحديث وهكذا، وقد تضم بعض الغرف خزائن لأكثر من علم.

وكانت الكتب توضع علىٰ الرفوف، ينضد بعضها فوق بعض، حيث يكون القطع الكبير في أسفلها والقطع الصغير فوقه، حتىٰ لا يختل نظمها، ويكثر تساقطها. لهذا كانوا يكتبون عنوان الكتب واسم مؤلفه علىٰ أطراف الصفحات مجتمعة ـ أي علىٰ سمك الكتاب ـ بحيث تكون أطراف الحروف العليا تجاه أول الكتاب، وتنضد

---

(١) تاريخ التربية الإسلامية ص١٤٨ عن الخطط للمقريزي ص٤٠٨ جـ ١.

الكتب بعضها فوق بعض ويجعل الجانب الذي عليه الكتابة في الجهة الخارجية للرف ليواجه المطالعين، فتسهل معرفته والاستفادة منه. وقد يكتب عنوان الكتاب واسم مؤلفه علىٰ أطراف الورق الثلاثة للكتاب، أما الكتب النفيسة، أو الكتب غير المجلدة، أو التي يخشىٰ عليها لضعف ورقها، فغالباً ماكان يحفظ كل كتاب منها في صندوق صغير أوسع من الكتاب بقليل، مصنوع من الجلد أو الورق المقوىٰ الغليظ وحينئذ يكتب عنوان الكتاب واسم مؤلفه علىٰ جانب الصندوق[1].

ولا يزال عدد كبير من هذه المجلدات القديمة محفوظاً في دار الكتب الظاهرية بدمشق ودار الكتب المصرية وغيرهما ضمن صناديقها علىٰ حالها التي كانت عليه في تلك العصور.

وكانت رفوف الكتب مفتوحة، والكتب في متناول الجميع، يستطيع أي مطالع أن يتناول الكتاب الذي يريده. وإذا عسر عليه معرفة موضع كتاب ما يستعين بالموظف المناول فيرشده ويساعده. وكانت بعض غرف المكتبة لا تخلو من رفوف مغلقة علىٰ بعض الكتب النادرة مخافة تلفها أو تساقط بعض أوراقها، ويستطيع المطالع أن يستفيد منها بإذن من المشرف علىٰ المكتبة، وبذا يتاح له استخراجها والمطالعة فيها.

وكان يشرف علىٰ المكتبة هيئة من المسؤولين ، أعلاهم أمين المكتبة، أو خازن المكتبة، ولم يكن عمل الخازن إدارياً فحسب بل كان علمياً وإدارياً في آن واحد، ولهذا اختير لشغل مناصب خزانة المكتبة أو أمانتها جماعة من فحول العلماء ومشاهير الأدباء، كسهل بن هارون وسعيد بن هارون وسلم خزنة بيت الحكمة ببغداد، وكان سلم حكيماً فصيحاً شاعراً، ولسهل عدة مؤلفات، وكان سعيد فصيحاً مترسلاً، له عدة مؤلفات.

---

(١) وقد رأينا بعض هذه الصناديق، ومنها ما قد زين بزخارف جميلة ولون بألوان متناسقة جذابة، وقد حرص القدامىٰ علىٰ هذه المؤلفات، فزودوا صناديق هذه الكتب بشرائط من القماش، فإذا أدخل الكتاب في صندوقه دخل الشريط أمامه وبقي بعضه خارج الصندوق، وما عليك حين تريد إخراج الكتاب إلا أن تمسك بطرف الشريط وتجذبه برفق فيخرج الكتاب بسهولة ويسر.

وقد أعد علي بن يحيىٰ المنجم مكتبة الفتح بن خاقان، وقد كان أديباً يميل إلىٰ أهل الأدب، ويعتني بأمورهم وكان من خاصة ندماء المتوكل، وفي دار الحكمة بالقاهرة تولىٰ منصب الخازن علي بن محمد الشابشتي، الذي عرف بالاطلاع الواسع، وبالمعشر اللطيف حتىٰ صار جليس الخليفة العزيز بالله العبيدي، وله مؤلفات حسنة.

وقد بلغ خزنة المكتبات مبلغاً رفيعاً من العلم والمعرفة وسعة الإطلاع، حتىٰ إن المؤرخ المشهور والعالم الكبير ابن مسكويه كان خازناً لمكتبة الوزير ابن العميد[1].

وحق لهذا المنصب أن لا يتولاه إلا أكابر العلماء والأدباء، لأن الخازن يمد المكتبة ببنات أفكار العلماء ومؤلفاتهم الجديدة، ويشرف علىٰ الفهارس وحسن تنظيمها، وييسر للعلماء والقراء الحصول علىٰ ما يريدون، ويسهل لهم ما يطلبون، هذا إلىٰ جانب محافظته علىٰ الكتب من التلف والضياع وغير ذلك، كل هذه الأمور تراعيها الدول في العصر الحاضر، فتختار الأمناء من المثقفين والمتخصصين، ليحسنوا شغل هذا المنصب، ويرعوه حق رعايته.

وكان الغالب في المكتبات أن يتولىٰ الإشراف عليها خازن واحد، ولكن ضخامة بعض المكتبات وكثرة روادها اضطر المسؤولين إلىٰ تعيين خازنين أو أكثر، أو تعيين خازن ومساعد له.

ومن أبرز ما يسترعي الانتباه في المكتبات الإسلامية جماعة النساخ، وهؤلاء النساخ أشبه بقسم الطبع والنشر في دور الكتب المعاصرة، إذ إن وسائل الطباعة الحديثة لم تكن معروفة بعد، وعرف النساخ بجودة الخط، وحسن الضبط والإتقان، فكانت تدفع إليهم المؤلفات الحديثة لينسخوا منها نسخة أو أكثر يزودون بها مكتبتهم. وقد اتبعوا قواعد خاصة في النسخ تتعلق بالورق والحبر ولونه وعدد الأسطر في كل صفحة وغير ذلك مما له صلة بحسن إخراج المؤلف

---

(١) انظر تاريخ التربية الإسلامية للدكتور أحمد شلبي ص ١٦٠ عن تجارب الأمم ص ٢٤٤ جـ ٦.

علىٰ وجه يليق به.

وإلىٰ جانب النساخ ظهر المترجمون في أُمهات المكتبات الإسلامية، ووصلت الترجمة إلىٰ ذروتها في بيت الحكمة في عهد الرشيد والمأمون، حيث ترجمت بعض الكتب من الفارسية وغيرها إلىٰ اللغة العربية.

وما لبث أن اختفىٰ المترجمون من المكتبات وتوقف نشاط الترجمة تقريباً في عهد الواثق، ولعل مرد ذلك تقدم المسلمين في المجال العلمي مما أغناهم عن الاشتغال بتراث غيرهم.

وقد ألحق بقسم النساخ والمترجمين المجلدون، الذين يقومون بتجليد ما ينسخه النساخ والمترجمون، كما يقومون بترميم وإصلاح ما يطرأ علىٰ الكتب من كثرة الاستعمال، وقد تقدم التجليد عند المسلمين من حالته البسيطة إلىٰ أرفع درجاته وأحلىٰ زخارفه ونقوشه.

ويساعد الخازن في عمله فئة عرفت بالمناولين، وتقتصر وظيفة المناول علىٰ إرشاد المطالع إلىٰ موضع الكتب في الرفوف، إذا تعذر عليه معرفة مكانها، أو إحضار ما يطلبه القراء من الكتب إلىٰ أماكن قراءتهم، ومن هنا يتبين لنا أن عملهم يدور بين القراء والكتب فهو دون عمل الخازن، ويرتقي عن عمل المستخدمين المسؤولين عن نظافة المكتبة وأثاثها.

وأما استعارة الكتب فقد عرفت منذ زمن بعيد يعود إلىٰ أواخر عصر الصحابة وأوائل عصر التابعين، فكان يستعير طلاب العلم بعضهم من بعض الأجزاء أو المجالس للنسخ والمقابلة والتصحيح، كما كان العلماء يتبادلون الكتب فيما بينهم، وقد حظيت إعارة الكتب واستعارتها بآداب جمة تدل علىٰ رفعة الأخلاق الإسلامية وشمولها جميع الميادين[1]، فيكره لمن عنده كتاب أن يحبسه عن أهل العلم، كما يكره

---

(١) يظهر هذا في بعض أقوالهم وأشعارهم. من هذا ما أنشده أبو الحسين علي بن أحمد بن يحيىٰ =

=

الجوردكي لنفسه بالبصرة:

يـــا مـــن يـــروم كـــتابي ... لنـــــــسخه إن أراده

أو رغـــــبة في إطـــــلاع ... يبغـــي بـــذاك الـــزياده

تـــوقّ فـــيه خـــصالاً ... تـــسويده وفـــساده

ونـــل مـــرادك مـــنه ... بالفكـــر والاســـتعادة

فـــالعلم للمـــرء يحيـــي ... تامـــوره وفـــؤاده

لاتقـــصدنّ الـــتواني ... أمانـــة كـــالقلاده

إذا فـــرغت فـــأسرع ... بـــه إليّ الإعـــاده

حـــرمت تأخـــير أصـــلي ... مـــن غـــير عـــذر أكـــاده

فحبـــسه فعـــل ســـوء ... وسرعـــة الـــرد عـــاده

رواه شـــيخ مفَـــنٌّ ... عـــن معْمَـــر عـــن قـــتاده

الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع للخطيب البغدادي (١/ ٣٧٨) ف (٤٩٦).

وبوب الخطيب البغدادي فصلاً بعنوان (شكر المستعير للمعير) ذكر فيه حديث أبي هريرة عن الرسول ﷺ أنه قال: «لا يشكر الله من لا يشكر الناس» وحديث الأشعث بن قيس الكندي أنه ﷺ قال: «إن أشكر الناس لله أشكرهم للناس». وحديث عبد الله بن عمر عن الرسول ﷺ أنه قال: «من اصطنع إليكم معروفاً فجازوه، فإن عجزتم عن مجازاته، فادعوا له حتىٰ يعلم أنكم قد شكرتم، فإن الله شاكر يحب الشاكرين». الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع (١/ ٣٨٠) فقرة (٥٠٠ ـ ٥٠٢).

الحديث الأول محفوظ عن أبي هريرة «من لا يشكر الناس لا يشكر الله» وهو حديث حسن أخرجه الترمذي، والحديث الثاني حديث صحيح أخرجه أحمد والطبراني في الكبير والبيهقي في شعب الإيمان وغيرهم عن الأشعث بن قيس وغيره. انظر (الجامع الصغير ص٤٢ جـ١)، ومعنىٰ الحديث الثالث صحيح، وتشهد لطلب الدعاء لصانع المعروف طرق كثيرة صحيحة. انظر (الفتح الكبير ص ٢٠٩ ص٣ والجامع الصغير ص١٧٤ جـ٢).

وقال بعض الشيوخ:

قـــد رددنـــا إلـــيك أصـــلحك الله ... مـــع الـــشكر مـــا اســـتعرناه مـــنكا

ورأيـــناك أحـــسن الـــناس صـــبراً ... واحـــتمالاً لمـــا حبـــسناه عـــنكا

الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع (١/ ٣٨٢) فقرة (٥٠٣).

للمستعير أن يتأخر في رده، وفي هذا يقول الإمام الزهري:

(إياك وغلول الكتب. قيل: وما هو؟ قال: حبسها)[1].

وقال الفضيل بن عياض: (ليس من فعل أهل الورع، ولا من فعال العلماء أن يأخذ سماع رجل وكتابه فيحبسه عليه، ومن فعل ذلك فقد ظلم نفسه)[2].

ويروىٰ عن الجاحظ في هذا المقام هذان البيتان:

أيها المستعير مني كتاباً ... ارض لي فيه ما لنفسك ترضىٰ

لا ترىٰ رَدَّما أعرتك نفلاً ... وترىٰ ردَّ ما استعرتك فرضاً[3]

وأنشد بعضهم:

أيها المستعير مني كتاباً ... إن رددت الكتاب كان صوابا

أنت والله إن رددت كتاباً ... كنتُ أعطيتَهُ أخذت كتابا[4]

وقد كتب أبو بكر أحمد بن الحسين القطان علىٰ ظهر كتابه:

يا مستعير كتابي إنه علقٌ ... بمهجتي عَلقَ المحبوب بالمهج

انسخه واردده في حل وفي سعة ... وأنت في حبسه في أضيق الحرج[5]

وكره العلماء أن يجعل المستعير ما استعاره رهناً لدين، أو أن يعيره لغيره إلا بإذن مالكه، أو أن يكتب في هامشه وحواشيه إلا إذا أذن له المعير، وغير ذلك[6].

وكان بعضهم يستوثق لكتبه المعارة برهن، ولا يعيرها إلا به. وفي هذا المعنىٰ قال بعضهم:

---

(١ و ٢) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع (١/ ٣٧٣) فقرة (٨٤) و١/ ٣٧٤ ف (٤٨٧).

(٣) الجامع لأخلاق الراوي ١/ ٣٧٨ ف (٤٩٥).

(٤) المرجع السابق ١/ ٣٧٥ ف (٤٨٩).

(٥) المرجع السابق ١/ ٣٨٠ ف (٤٩٩).

(٦) انظر كتاب الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع ١/ ٣٧٧ وما بعدها ف (٤٩٣ و٤٩٤).

أعرِ الدفتر للصاحب بالرهن الوثيق  إنه ليس قبيحاً أخذ رهنٍ من صديق[1]

ولأبي القاسم علي بن الحسن القطيعي أبيات تبين منزلة الكتاب من صاحبه، يختمها بتوثيق إعارتها بالرهن الثمين. فيقول:

جَلَّ قدرُ الكتابِ يا صاحِ عندي  فهو أغلىٰ من الجواهر قدرا
لست يوماً معيره من صديقٍ  لا ولا من أخ أحاذر غَدْرا
ما علىٰ من يصونه من ملامٍ  بل له العذر فيه سراً وجهرا
لن أعير الكتابَ إلا برهنٍ  من نفيس الرهون تبراً ودرا[2]

وكما كانت الاستعارة معروفة بين أهل العلم، فقد عرفت الاستعارة الخارجية أيضاً في المكتبات، وكانت تتم مقابل ضمان أو تأمين[3]، وقد يعفىٰ المعروفون من العلماء وأفاضل الناس من ذلك، وكانت الإعارة تقيد بمدة معينة ليس للمستعير أن يتجاوزها[4] وعلىٰ المستعير أن يحرص علىٰ ما يستعيره ويحافظ عليه حرصه ومحافظته علىٰ ماله.

**وبهذا فقد أدت المكتبات الإسلامية رسالتها فيما مضى، وحققت الغايات النبيلة السامية من إنشائها واستمرارها**، فكان لها الفضل العظيم في حفظ التراث العلمي، ونشره وتعميمه، وتسهيل التبادل الثقافي، وكسب المعرفة، وتعميق الاطلاع،

---

(١) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع ١/ ٣٧٧ ف (٤٩٤).

(٢) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع ١/ ٣٧٦ و٣٧٧ ف (٤٩٣).

(٣) قال تاج الدين السبكي المتوفىٰ سنة (٧٧١هـ) في خازن الكتب: (وحق عليه الاحتفاظ بها، وترميم شعثها، وحبكها عند احتياجها للحبك، والضنة بها علىٰ من ليس من أهلها، وبذلها للمحتاج إليها، وأن يقدم في العارية الفقراء الذين يصعب عليهم تحصيل الكتب علىٰ الأغنياء، وكثيراً ما يشترط الواقف ألا يخرج الكتاب إلا برهن يحرز قيمته، وهو شرط صحيح معتبر، فليس للخازن أن يعير إلا برهن..) معيد النعم ومبيد النقم ص١١١.

(٤) انظر تاريخ التربية الإسلامية ص١٥٦.

وتثقيف الناشئة، والأخذ بأيدي طلاب العلم إلىٰ موارده وينابيعه، والكشف عن كنوزه وأسراره، فقامت المكتبات الإسلامية ـ بحق ـ بما تقوم به اليوم المؤسسات العلمية والجامعات بما لديها من مختلف وسائل المعرفة الحديثة بما يناسب روح العصر ووسائله.

**ففي المكتبة العامة الحديثة في هذا العصر قاعة كبيرة تتسع أحياناً لمئات القراء فيها المقاعد المنتظمة**، تحمل أرقاماً مسلسلة، وفي القاعة مسؤول أو أكثر ، يُطلب الكتاب في الاستعارة الداخلية عن طريق هؤلاء الموظفين ، ويسترشد بهم.

وللمكتبة أمين (خازن) أو (محافظ) وهو رأس المكتبة، يساعده في عمله عدد من المساعدين والموظفين، وفيها المناولون وهم همزة الوصل بين مخازن المكتبة والقراء.

وفي المكتبة اليوم قاعة كبيرة للمؤلفين والباحثين تضم أمهات المصادر والمراجع تكون قريبة منهم وفي متناول أيديهم[1]، وقد ترىٰ لكل علم أو علمين قاعة خاصة مزودة بمصادر ذلك العلم[2].

وتجد في المكتبات الكبيرة أقساماً خاصة بالكتب المخطوطة، يلحق بها كل ما يساعد علىٰ تصوير الكتب وتكبير الأفلام، وحفظ الشرائح وغير ذلك مما يقدم خدمات للقراء وأهل العلم.

كما ترىٰ في المكتبة الحديثة موظفين متخصصين في شؤون المكتبات وفهارسها، تكوّن كل فئة جهازاً مكتبياً فعالاً، له أثره في تقدم المكتبة، وتيسير المطالعة علىٰ القراء والباحثين، فهناك قسم «التزويد» الذي يهتم بكل ما يصدر حديثاً ويزود المكتبة به، و(قسم الفهارس) الذي يتولىٰ تصنيف الكتب وفهرستها حسب موضوعاتها، كما يتولىٰ وضع فهارس المكتبة المختلفة، وفي المكتبات الحديثة (قسم الإرشاد) وهو

---

(١) كدار الكتب المصرية بالقاهرة: ومكتبة الأزهر، ودار الكتب الظاهرية، ودار الكتب الوطنية بالرياض وغيرها.

(٢) كدار الكتب المصرية بالقاهرة.

القسم الذي يتولىٰ إرشاد المطالعين إلىٰ مواضع الكتب التي يريدونها... ومنذ ربع قرن أدخلت أجهزة الحاسوب الإلكترونية إلىٰ كثير من المكتبات العامة في البلاد العربية والإسلامية، يستعملها المتخصصون من قسم الإرشاد، كما في مكتبة الأسد في دمشق، أو يستعملها بعض المطالعين لذات الغرض، كما في مكتبة الشارقة العامة، وغير ذلك من الأقسام الكثيرة التي تتضافر جهودها من أجل خدمة رواد المكتبة وطلاب المعرفة. هذا سوىٰ الأقسام الإدارية الأخرىٰ التي لا صلة لها بالقراء.

ويلحق بالمكتبة الحديثة مطبعة تتولىٰ نشر الكتب التي تقوم بتحقيقها لجان خاصة بذلك، وهيئة مكتبية متفرغة للإنتاج العلمي، كما هو شأن دار الكتب المصرية بالقاهرة[1] وغيرها من دور الكتب العربية والأجنبية.

## ب ـ فهارس المكتبة:

فهرس المكتبة هو البيان الشامل لما تضمه المكتبة في خزائنها من مطبوعات ومخطوطات، وخرائط ومصورات وما يلحق بذلك، وينظم وفق ترتيب معين يكفل سهولة الحصول علىٰ الكتاب بالسرعة المناسبة.

لقد عرفت المكتبة الإسلامية الفهارس منذ نشأتها الأولىٰ، فكان لكل مكتبة فهارسها المنظمة تنظيماً دقيقاً حسب موضوعات محتوياتها، وإلىٰ جانب هذا عمد خزنة المكتبات إلىٰ لصق قائمة بأسماء الكتب التي تحتويها كل خزانة من خزائن المكتبة، علىٰ أحد جوانب الخزانة البارزة. بحيث يراها القراء، وإلىٰ جانب كل كتاب في القائمة سُجلَ رقمه الخاص به.

وكانت الفهارس خير دليل لمحتويات المكتبة، وبيان ما فيها، فكلما عظمت المكتبة ازداد عدد فهارسها، ولم تقتصر الفهارس علىٰ المكتبات العامة بل كانت متبعة في المكتبات الخاصة، حتىٰ إن فهارس كتب الصاحب بن عباد كانت في عشر مجلدات،

---

(١) لقد أدت دار الكتب المصرية ومطبعتها خدمات جليلة في نشر العلم وإحياء بعض المخطوطات في هذا العصر، فطبعت كتاب الجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبي (ـ٦٧١هـ)، وكتاب معرفة علوم الحديث للحاكم (٤٠٥هـ) والأغاني للأصفهاني وغيرها من أمهات الكتب في مختلف العلوم.

وبلغت فهارس دواوين الشعراء في مكتبة قرطبة أربعة وأربعين جزءاً[1].

ولتصنيف الكتب في المكتبات الحديثة في فهارس خاصة عدة طرق، أيسرها وأسهلها الطريقة المعجمية، فترتب الكتب فيها حسب حروف الهجاء، وأنواع الفهارس في المكتبة الحديثة ثلاثة، فهرس بأسماء المؤلفين، وفهرس بأسماء الكتب، وفهرس للموضوعات، وكل هذه ترتب حسب حروف الهجاء.

وخير طريقة لوضع هذه الفهارس بين يدي رواد المكتبات أن تكون علىٰ بطاقات متينة مصنوعة من المقوىٰ الجيد بحجم مناسب.

وإلىٰ جانب فهارس البطاقات يوجد شكل آخر لفهرسة الكتب، وهو أن تطبع فهارس الكتب في سجل كبير علىٰ شكل كتاب، كما يوجد شكل ثالث وهو أن توضع أوراق الفهرس في مغلف كبير متين، فيثقب طرف كل صفحة عدة ثقوب وتشد الصفحات إلىٰ بعضها عن طريق هذه الثقوب بواسطة محازم حديدية قوية، وهناك شكل رابع للفهارس كتلك القوائم التي ذكرناها، يذكر فيها عنوان الكتاب ورقمه وتلصق علىٰ لوحات، وتوضع هذه اللوحات في مكان ظاهر غالباً ما يكون في الممرات المؤدية إلىٰ غرف المطالعة، أو علىٰ جدران الأروقة التي تربط بين حجرات المكتبة.

وسنكتفي في هذا المقام بذكر فهارس البطاقات، وسجلات الكتب والفهارس المطبوعة:

**١ ـ فهرس البطاقات:**

يتكون هذا الفهرس من بطاقات طولها (١٢.٥ سم) وعرضها (٧.٥سم) أو (١٣×٩) سم، وهذا المقاس المتعارف عليه في جل المكتبات في العصر الحاضر. وتثقب البطاقات في منتصف طرفها الأسفل، لتسلك مع غيرها في قضيب معدني ضمن صندوق البطاقات المفهرسة. وقد جرىٰ العرف في المكتبات الحديثة أن

---

(١)انظر تاريخ التربية الإسلامية ص١٥٣ وص١٥٤.

تختلف ألوان البطاقات باختلاف الفهارس، فيكون اللون الأبيض مثلاً لبطاقات المؤلفين، واللون الأخضر الفاتح لبطاقات الكتب، واللون الأحمر الفاتح لبطاقات الموضوعات، ليسهل على المطالعين تمييز الفهارس بمعرفة ألوانها. ولفهارس البطاقات عدة مميزات منها:

١ ـ **سهولة الاستعمال**: فيمكن أن تضاف بطاقات جديدة إلى صندوق البطاقات فتوضع في أماكنها، كما يمكن أن ترفع بطاقات الكتب غير الصالحة، أو الموجودة في التجليد من صندوق البطاقات، ويتم ذلك كله بسهولة ويسر نتيجة نظم البطاقات في القضيب المعدني المثبت في أسفل الصندوق، (انظر الشكل ١).

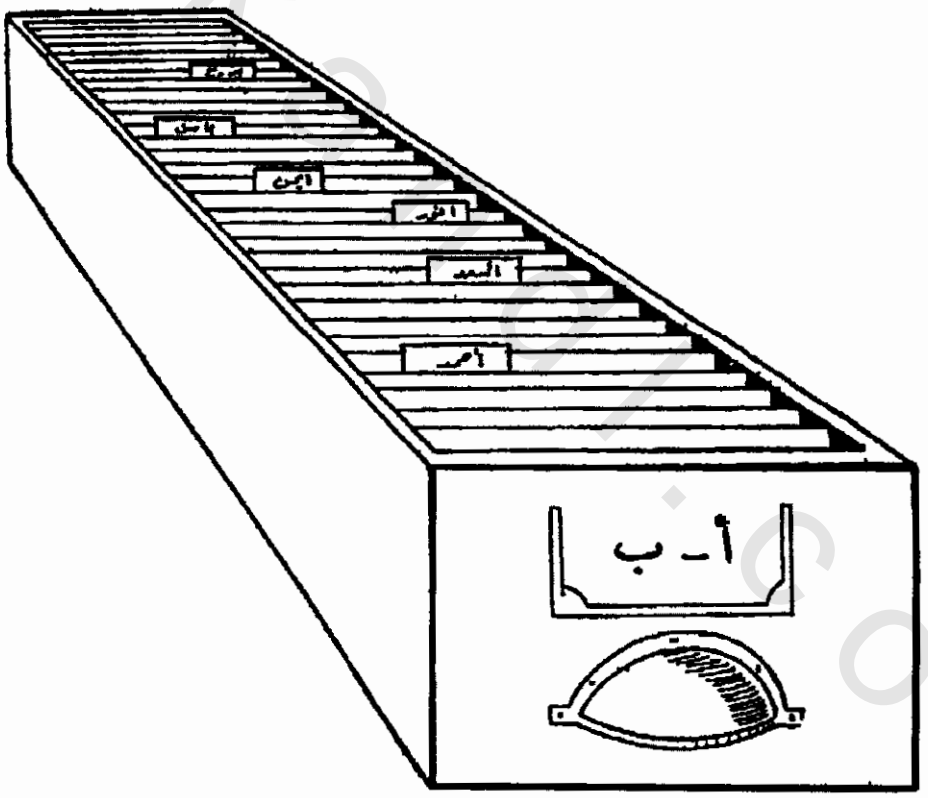


الشكل (١)

٢ ــ فهرس البطاقات يحقق إطلاع القراء علىٰ ما يصدر من كتب حديثة منذ وصولها إلىٰ المكتبة، ففي الوقت الذي يضم فيه كتاب إلىٰ خزانة المكتبة تضم بطاقته إلىٰ صندوق الفهارس، ولا يبقىٰ فترة طويلة ريثما تتم فهرسة مجموعة كبيرة من الكتب كما هو الشأن في سجلات الفهارس المطبوعة.

٣ ــ نضيف إلىٰ ما سبق، أن فهرس البطاقات أطول عمراً من سجل الكتب أو من الفهارس المطبوعة علىٰ ورق، وذلك لمتانة البطاقات وقوة مادتها.

**ولكل كتاب في المكتبة ثلاث بطاقات:**

١ ــ **بطاقة المؤلف:** وفيها يكون اسم المؤلف في أعلىٰ البطاقة ، ويدون في الزاوية العليا من الجهة اليمنىٰ رقم الكتاب وحرفه في المكتبة، ويذكر تحت رقم الكتاب وحرفه الحرف الأول من اسم المؤلف .. ويدون عنوان الكتاب تحت اسم المؤلف، ويدون مكان الطبع والنشر وتاريخه تحت عنوان الكتاب.

ويلي ذلك تدوين عدد صفحات الكتاب ويكتفي بذكر حرف (ص) إلىٰ جانب عدد الصفحات، وحرف (ج) يدل علىٰ كلمة جزء أو أجزاء، كأن يدون (٣٥٠ص) و(٣ج) كما هو واضح في شكل (٢). ويضاف إلىٰ أسفل البطاقة سطر يذكر فيه كون الكتاب محققاً أو مترجماً. وسطر آخر للملاحظات. وأما موضوع الكتاب أو العلم الذي يندرج تحته، فبعض المفهرسين يفضلون ذكره في أسفل البطاقة، وآخرون يفضلون وضعه تحت اسم الكتاب. وحبذا لو يوضع في الطرف الأيسر من أعلىٰ البطاقة ليكون أكثر ظهوراً.

٢ ــ بطاقة الكتاب وهي كالبطاقة السابقة إلا أن اسم الكتاب يكون في أعلىٰ الصفحة، وتحته اسم المؤلف وجميع البيانات التي ذكرناها في بطاقة المؤلف. كما هو واضح في شكل (٣).

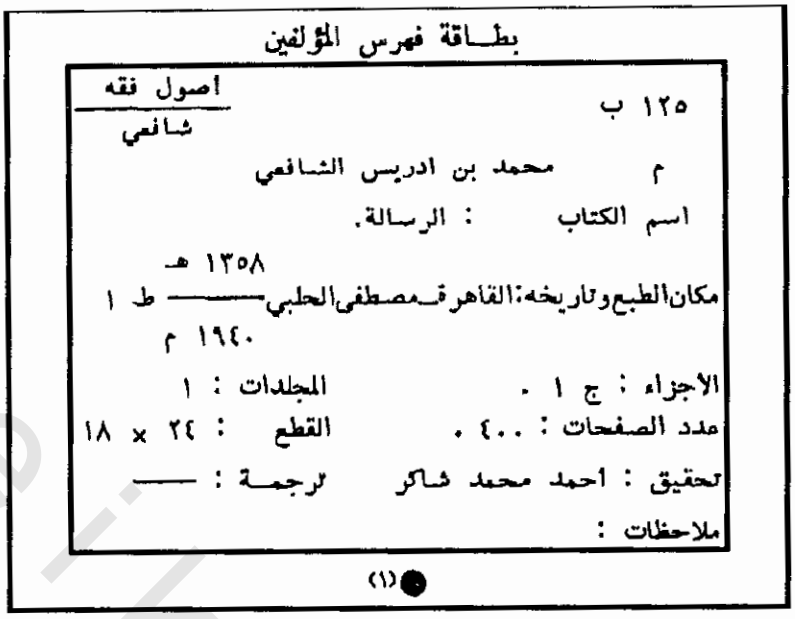


الشكل (٢)[1]

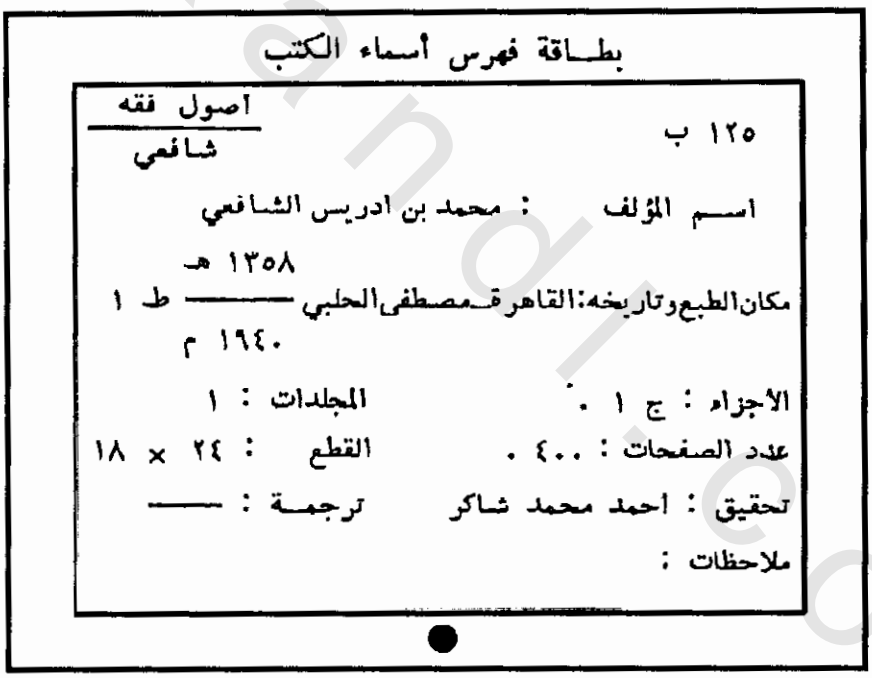


الشكل (٣)

(١) ثقب البطاقة الذي يسلك فيها لقضيب من صندوق فهارس البطاقات.

٣ ـ بطاقة الموضوع أو العلم، يذكر فيها موضوع الكتاب أو العلم الذي يندرج الكتاب تحته ـ في أعلىٰ الصفحة، ويذكر تحته اسم الكتاب ثم اسم المؤلف وجميع البيانات السابقة كما هو واضح في شكل (٤). ويفضل بعض المفهرسين أن يذكر اسم المؤلف تحت اسم العلم بدلاً من اسم الكتاب.

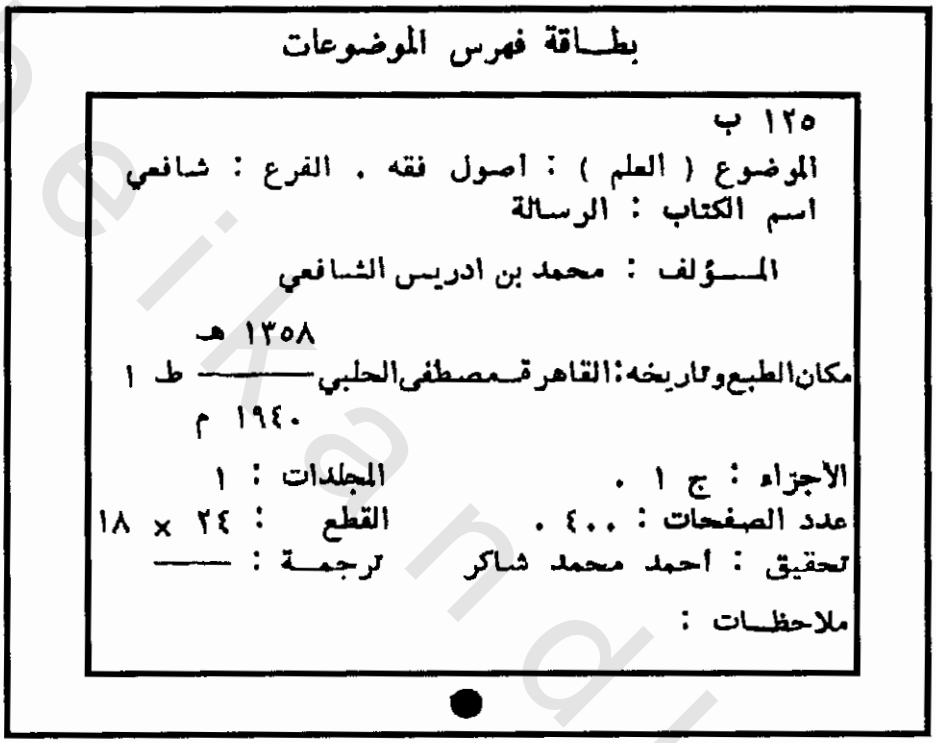
بطـاقة فهرس الموضوعات

١٢٥ ب
الموضوع ( العلم ) : اصول فقه . الفرع : شافعي
اسم الكتاب : الرسالة
المـؤلف : محمد بن ادريس الشافعي
مكان الطبع وتاريخه: القاهرة مصطفى الحلبي ـــــ ط ١ ١٣٥٨ هـ ١٩٤٠ م
الأجزاء : ج ١ . المجلدات : ١
عدد الصفحات : ٤٠٠ . القطع : ٢٤ × ١٨
تحقيق : احمد محمد شاكر ترجمة : ـــــ
ملاحظات :

الشكل (٤)

**٢ ـ الفهارس المطبوعة:**

في هذا الفهرس يدون في طرف الصفحة الأيمن رقم وحرف الكتاب في المكتبة، ويدون إلىٰ جانبه بعيداً عنه نحو (٢)سم عنوان الكتاب، وتحته اسم المؤلف وسنتا ولادته ووفاته، وبعد ذلك يدون تقييم موجز للكتاب بما لا يزيد علىٰ خمسة أو سبعة أسطر. ويدون تحت هذه الخلاصة عدد الأجزاء، والصفحات، وقطعها، ومكان الطبع وتاريخه.

ويستقل كل علم في مجلد أو أكثر، وإذا كانت مؤلفات علم من العلوم في المكتبة أقل من أن تشغل مجلداً، فتضم إلىٰ مجلد أقرب علم منه، وتوضع في باب مستقل. كأن تضم مؤلفات الجغرافيا إلىٰ مجلد فهرس التاريخ، وتكون في باب مستقل منه. أو مصنفات أصول الحديث إلىٰ مجلد الحديث، وتذكر في باب مفرد خاص بها[1].

---

(١) ورأيت إحياءً وتجديداً للفهارس المطبوعة أن نضع فهرساً لكتب الحديث وعلومه في مكتبة جامعة الشارقة. ضم أربعة أقسام. وهي:

القسم الأول: كتب الحديث، وفيه ثمانية وعشرون مبحثاً.

القسم الثاني: كتب شروح الحديث.

القسم الثالث: علوم الحديث ومصطلحه. وفيه ثمانية مباحث.

القسم الرابع: دراسات في السنة وعلومها.

ويندرج تحت كل قسم أنواع متعددة من فنون علمه، يضم كل نوع عدداً من المصادر والمراجع. بما ييسر علىٰ الباحثين تحقيق بغيتهم.

وحرصاً علىٰ مزيد الفائدة، فقد ألحقنا بالفهرس ثلاثة كشافات (فهارس).

الأول: فهرس بأسماء المؤلفين يبين ما للمؤلف من كتب في مكتبة الجامعة.

الثاني: فهرس للكتب، ذكرنا إلىٰ جانب كل منها رقم الفقرة التي ورد فيها اسم الكتاب وعرف فيها.

الثالث: فهرس للمحققين والمعلقين والمترجمين، ومن في حكمهم، ذكرنا إلىٰ جانب كل اسم منها رقم الفقرة التي ورد فيها. ورتبنا جميع هذه الفهارس علىٰ حروف الهجاء.

وتشجيعاً لطالباتنا المتفوقات فتحت باب المشاركة في هذا العمل العلمي لثلاثة منهن تخرجن في كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، وحملن مؤهلها العلمي في الدفعة الأولىٰ، التي تخرجت بجامعة الشارقة سنة ١٤٢١هـ/ ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠٠م/ ٢٠٠١م وَهُنَّ:

١ ـ رقية يوسف أحمد عبد الله.

٢ ـ فاتن قاسم عبد الله.

٣ ـ نسيمة أحمد كراني.

اللواتي قمن بما أسند إليهن أحسن قيام شكر الله جهودهن، وبارك لأمتنا بأجيالها الصاعدة العاملة المخلصة.

وقد حرصنا علىٰ توصيف كل كتب السنة وعلومها الموجودة في المكتبة حتىٰ نهاية أيلول عام ٢٠٠١م وطبع الفهرس بعنوان: (الفهرس الوصفي لكتب الحديث وعلومه في مكتبة جامعة الشارقة سنة ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م في مجلدة ضمت (٢٥٢) صفحة.

وقد يكون في خزائن دور الكتب مصنفات مخطوطة، فتوضع هذه المصنفات في خزائن خاصة بها، وفي قسم المخطوطات من المكتبة، كما هو الشأن في دار الكتب المصرية وغيرها. وحينئذ لابد من وضع فهرس خاص بالمخطوطات: على نحو فهرس المطبوعات الذي ذكرناه.

وللفهارس المطبوعة عدة فوائد أهمها:

١ ـ سهولة نقلها من مكان إلى آخر، ويسر تبادلها مع المكتبات العالمية. فترى فهارس دار الكتب المصرية وبعض فهارس دار الكتب الظاهرية وفهارس مكتبات برلين ودير الأسكوريال، وفهارس المكتبة الأهلية بباريس وغيرها من الفهارس. تراها في معظم المكتبات الكبرى، فيطلع الطالب والعالم على محتويات المكتبات البعيدة عنه. وتتجلى هذه الفائدة في المخطوطات، فقد يقف المرء على مخطوط يحتاج إليه، فيرسل إلى المكتبة التي تضمه في خزائنها طالباً تصويره... وفي هذا توفير كبير للوقت والمال والجهد.

٢ ـ الفهارس المطبوعة تعطي القارئ فكرة موجزة عن مادة الكتاب ومنهج المؤلف، قد تغني المطالع عن مراجعة الكتب بنفسه، ليحسن اختيار الكتاب المناسب لموضوع بحثه، من حيث البسط والإيجاز والأدلة وما يتعلق بذلك.

**٣ ـ سجلات الكتب أو الفهارس المخطوطة:**

السجل هو دفتر يختلف حجمه بين مكتبة وأخرى. وغالباً ما يكون قياس الصفحة فيه (٣٥×٢٥)سم، وورقه قوي سميك (برستول). تضم الصفحات إلى بعضها بمحازم حديدية لطيفة، مثبتة بقاعدة مغلف متين. وتخط في الصفحة عدة جداول عمودية من أعلى الصفحة إلى أسفلها، يسجل في الجدول الأيمن رقم الكتاب وحرفه كما في خزانة المكتبة، ويسجل في الجدول الذي يليه اسم الكتاب ومؤلفه، وفي الجدول الذي يليه عدد الأجزاء، ثم عدد الصفحات. ويدون في

الجدول الذي يليه مكان الطبع وتاريخه، ويلي ذلك حقل الملاحظات، ويستقل كل سجل بعلم خاص، وإذا ضم أكثر من علم بوب لكل علم في قسم خاص منه، وكتب في الصفحة الأولىٰ دليل السجل أو الفهرس وما فيه من العلوم، مثلاً من ص ١ ـ ٣٠ علوم الحديث. ومن ص٣١ ـ ١٢٠ كتب الحديث ومن ص١٢١ ـ ٢٠٠ كتب شروح الحديث. وهذه السجلات تقوم مقام الفهارس وقد عرفت في المكتبات قبل فهارس البطاقات، ولا تزال مستخدمة في كثير من المكتبات.

تلك الفهارس وطرق تصنيف الكتب التي عرضت لها ـ كانت عامة ومتبعة في أكثر مكتبات العالم، وهي السائدة في جل البلاد العربية والإسلامية، ولا يقل هذا التصنيف عن التصنيف الموضوعي الذي وضعه في الغرب المكتبي البريطاني « جيمس دف براون» ولا عن تصنيف «بلس» الأمريكي المسمىٰ بالتصنيف « البيبلوغرافي» ولكل تصنيف محاسنه ومساوئه، وليس المقام مقام موازنة بين طرق التصنيف، بل عرض لأهم المتعارف عليه في هذا الميدان، وهذا يحملنا لأن نذكر لمحة موجزة عن التصنيف العشري.

**جـ ـ التصنيف العشري:**

اجتهد بعض المشتغلين في المكتبات وتصنيف محتوياتها في محاولة التسهيل علىٰ القراء، وجمع كل ما يتعلق بموضوع من الموضوعات وما يلحق به أو يشاركه من قريب أو بعيد ـ تحت أصل واحد تتفرع عنه فروع وأجزاء... فحاولوا التغيير في مناهج تصنيف المكتبات، وكان من بين هؤلاء الدكتور ملفيل ديوي (١٨٥١ ـ ١٩٣١ م) الأمريكي، الذي رَدَّ معارف الإنسان وعلومه إلىٰ تسعة أصول رئيسية، وخصص أصلاً لما لا يندرج من الكتب تحت تلك الأصول التسعة، وسمىٰ هذا الأصل « المعارف العامة فصار عدد الأصول التي تعود إليها جميع المعارف التي توصل إليها الإنسان عشرة أصول، وبالاعتماد علىٰ هذه الأصول وتبعاً لها تصنف المؤلفات في عشرة أقسام أساسية، يرمز لكل أصل برقم يدل عليه، وهذه الأصول هي:

| الأصل | الرقم المكتبي |
|---|---|
| ١ ـ المعارف العامة | (٠٠٠ ـ ٠٩٩) |
| ٢ ـ الفلسفة وعلم النفس | (١٠٠ ـ ١٩٩) |
| ٣ ـ الديانات | (٢٠٠ ـ ٢٩٩) |
| ٤ ـ العلوم الاجتماعية | (٣٠٠ ـ ٣٩٩) |
| ٥ ـ اللغات | (٤٠٠ ـ ٤٩٩) |
| ٦ ـ العلوم البحتة | (٥٠٠ ـ ٥٩٩) |
| ٧ ـ العلوم التطبيقية | (٦٠٠ ـ ٦٩٩) |
| ٨ ـ الفنون الجميلة | (٧٠٠ ـ ٧٩٩) |
| ٩ ـ الآداب | (٨٠٠ ـ ٨٩٩) |
| ١٠ ـ الجغرافيا والتاريخ والتراجم | (٩٠٠ ـ ٩٩٩) |

وجعل تحت كل أصل عشرة فروع، وتحت كل فرع عشرة أجزاء وخص كل جزء برقم واحد، ومثال هذا أنه رمز للعلوم الاجتماعية بـ:

(٣٠٠ ـ ٣٩٩) وجعل تحتها عشرة فروع:

٣٠٠ ـ ٣٠٩ العلوم الاجتماعية.

٣١٠ ـ ٣١٩ الإحصاء.

٣٢٠ ـ ٣٢٩ العلوم السياسية وهكذا فكان (٣٧٠ ـ ٣٧٩) التربية والتعليم وتحت كل فرع عشرة أجزاء[1].

---

(١) مثلاً ٣٧٠ التربية والتعليم.

٣٧١ المعلمون ونظم وطرق التعليم.

٣٧٢ التعليم الأولي والابتدائي.

٣٧٣ التعليم الإعدادي والثانوي والفني وكان آخر هذه الأجزاء (٣٧٩) وقسم كل جزء إلىٰ أجزاء =

ومما يؤخذ علىٰ هذا التصنيف وبخاصة في أصله الثالث أنه جعل جميع الديانات السماوية وغيرها تحت الرمز (٢٠٠ ـ ٢٩٩) وخص الديانة المسيحية بمعظم أرقام هذا الأصل، وضم الدين الإسلامي إلىٰ غيره من الديانات الأخرىٰ، فلم يجعل له رقماً خاصاً مستقلاً به، كفرع من فروع هذا الأصل، مع كثرة علوم الإسلام، وتعدد فروعها وأجزائها، مما حمل المهتمين بالمكتبات العربية وتصنيفها علىٰ تعديل التصنيف العشري في ترجمته العربية، وصار العدد (٢١٠) وأجزاؤه للدين الإسلامي. محاولين أن يستوعب هذا التعديل تصنيف المكتبة الإسلامية فترىٰ مثلاً المذهب الشافعي في تصنيف رقم (٢١٧.٣) وتحليل ذلك:

| | |
|---|---|
| ٢٠٠ | ديانات |
| ٢٠١ | الدين الإسلامي |
| ٢١٧ | المذاهب الإسلامية |
| ٢١٧.٣ | المذهب الشافعي |

ومع كل هذا فإننا نرىٰ أن التصنيف العشري لم يستغن عن الرمز ببعض الحروف لفئة من الكتب فاستُبْدِلَتْ أرقامُ تصنيفها بحروف...

---

=

أخرىٰ فاستخدم ديوي الأعداد العشرية.

فمثلاً ٣٧٠ التربية والتعليم.

٣٧٠.١ فلسفة التربية والتعليم.

٣٧٠.١٥ علم النفس التربوي.

انظر (التصنيف: لمحمود الأخرس) ص٥٣ وما بعدها طبع عمان ١٩٦٥. وقوائم التصنيف لمكتبات جامعة دمشق، وجداول التصنيف، وتصنيف مكتبة معهد الإدارة بالرياض، ودار الكتب الوطنية بالرياض.



obeikandl.com

ولعل انتشارَ هذا التصنيف في النصف الثاني من القرن العشرين، واعتماده في أكثر مكتبات أمريكا وبعض أوربا ـ يعود إلىٰ تبني المهتمين بشؤون المكتبات وتصنيفها هذا النظام في مؤتمرهم العالمي الذي تم انعقاده سنة ١٩٣٧م، محاولة منهم في توحيد نظم تصنيف المكتبات وتسهيل المعرفة.

وقد بدأت بعض المكتبات في العالم العربي تطبيق التصنيف العشري في تصنيف محتوياتها، وترتيب موجوداتها.

وإنك ترىٰ معي أن رمز الفرع الذي ينطوي تحته العلم عند ديوي يقابل الحرف الذي رمزنا له في بيان فهارس البطاقات وفهارس وسجلات المكتبة التي سبق لنا أن فصلنا القول فيها، وأن رقم الجزء يقابل رقم التصنيف تحت حرفه في التصنيف المعروف سابقاً[1]، ولولا فكرة توحيد نظام تصنيف المكتبات ـ لم يكن لتصنيف ديوي مزية تذكر اللهم سوىٰ حصر جزئيات موضوع تحت فرعه ورده إلىٰ أصله مما يسهل علىٰ الباحثين أعمالهم في المكتبات المتخصصة، ومكتبات الدراسات العليا.

---

(١) أي أن رقم الآحاد في تصنيف ديوي مثل ٢١٧ والرقم العشري عنده مثل ٢١٧.٣ يقابلان الرقم تحت حرفه فيما أسلفنا مثل (١٢٥ب)، إلىٰ حد ما.



obeikandl.com